الفقيه العلامة:

محمد بن علي بن عمر الضمدي (-٩٩٠هـ)

"دراسة تاريخية"

الدكتور

محمد بن منصور بن جاوي*

*بكالوريوس في التاريخ من كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها عام ١٤٠٤هـ،

- ماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة الإمام بالرياض ١٤١٣هـ.

- يعمل الآن أستاذاً مساعداً بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الملك الخالد.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد..

فإن المخلاف السليماني (منطقة جازان) الذي كان يمتد قديمًا من حرض جنوبًا إلى قرب حلي ابن يعقوب شمالًا ومن جبال فيفا وبني مالك شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا، يُعتبر جزءًا مهمًا من الجزيرة العربية، وشهد خلال العصور الإسلامية الوسيطة حركة علمية نشطة ساهم في ازدهارها عدة عوامل منها وقوعه بين منطقتين حضاريتين مهمتين هما اليمن والحجاز، وكونه على طريق الحاج إلى مكة المكرمة، واختلاف تضاريسه ما بين جبل وسهل وبحر وبر، كل ذلك

قد أدى مع مقومات أخرى إلى بروز كثير من العلماء والأدباء والى تنوع الأنشطة العلمية به. ويُعتبر القرن العاشر الهجري من أبرز القرون نشاطًا وازدهارًا للحركة العلمية بالمخلاف السليماني؛ إذ نبغ كثير من أبنائه، واشتهروا كعلماء على مستوى المخلاف وما جاوره من البلاد وأسهموا من ثم في النشاط العلمي ببلاد المخلاف السليماني، بل تجاوز نشاطهم ودورهم إلى بلاد اليمن المجاورة. ومن أشهر أعلام وعلماء المخلاف السليماني خلال القرن العاشر الهجري العلامة الفقيه والأديب الشاعر محمد بن علي بن عمر الضمدي.

ومما ساهم في شهرة هذا العلامة تعدد مواهبه وتنوع ملكاته حتى طبقت شهرته بلاد المخلاف السليماني وتجاوزتها إلى بلاد اليمن والحجاز. ومع كل هذا الصيت، فإن شخصية هذا العلاّمة لم تحظ بالعناية والاهتمام من المؤرخين والدارسين بما يتكافأ ومكانته العلمية والأدبية والاجتماعية، سواءً عند مؤرخي المخلاف السليماني، أو غيرهم من مؤرخي اليمن على وجه الخصوص والحجاز، وعلى الرغم من بعض النتف والإشارات المتناثرة في بعض كتب اليمنيين أو كتاب العقيق اليماني لمؤرخ المخلاف السليماني عبد الله بن علي النعمان، إلا أن ما أوردوه لا يوازي المكانة التي بلغها هذا العلامة.

وينطبق هذا أيضًا على الدارسين والمؤرخين في عصرنا الحاضر: إذ لم يُوله أحد ممن عرض لجوانب من تاريخ المخلاف السليماني بعض العناية والإشارة إلى دوره ومكانته وعلمه. وإذا استثنينا الأسطر القليلة التي جمعها عنه الشيخ علي بن أبي زيد الحازمي فتي كتيب صغير بعنوان "من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد" والذي خصص أغلبه لنقل بعض قصائده والتعليق عليها بحيث لم تحظ دراسة شخصيته بأكثر من وريقات ثلاث. إذا استثنينا ذلك فإننا لا نكاد على حد علمي نجد دراسة شاملة تُلقي الضوء على هذه الشخصية الفذة وتتبع

حلقات حياته وإسهاماته العلمية.

ولعل صعوبة العثور على معلومات مفصلة، وندرة المصادر التي تحدثت عنه وأكثرها لا يزال مخطوطًا كانتا من المعوقات أمام الدارسين والباحثين. وقد تهيأت لي إبان اشتغالي بجمع معلومات بحثي عن الحياة العلمية في المخلاف السليماني خلال القرن العاشر الهجري فرص الاطلاع على بعض المصادر المخطوطة التي أوردت شذرات متناثرة عن هذه الشخصية وألمحت عن مكانته العلمية والاجتماعية في بلاده وغيرها من البلاد المجاورة. فرأيت أن من حقه علينا رحمه الله أن يُفرد بدراسة علمية موسعة ومستقصاه تتناول جوانب حياته ودوره في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في عصره بحسب ما وقع تحت يدي من معلومات متناثرة في كثير من المصادر المخطوطة والتي أفدت منها كثيرًا في بناء مباحث ومعلومات هذا البحث، أو بعض المصادر المطبوعة من قديمة وحديثة ساهمت في توثيق البحث وربط فقراته.

وبناءً على ما توافر لي من معلومات قسمت بحثي هذا إلى عدة مباحث؛ فتحدثت في التمهيد بإيجاز عن بلدة "ضمد" ومكانتها العلمية في القرن العاشر على اعتبار انتمائه إلى ضمد إحدى هجر العلم في بلاد المخلاف السليماني واحتضانها له صغيرًا وشابًا وكبيرًا وكون خاتمته بها وقبره رحمه الله فيها. ولم أتوسع كثيرًا في رصد جوانب الحياة العلمية بها لأمرين، الأول: لأن الدراسة خاصة بشخصية العلامة محمد بن علي بن عمر، والأمر الآخر لأنني تناولت دورها العلمي وأبرز علمائها في موضوعين آخرين.

ثم تناولت في المبحث الأول نسبه وولادته ووفاته وفصلت في ذلك بحسب ما توافر بين يدي من معلومات، ثم ذكرت نشأته وأسرتيه ودورهما تجاهه ثم استقصيت ما وسعني الاستقصاء في المباحث التالية، صفاته، وثناء العلماء عليه، وعقيدته ومذهبه، ورحلاته في طلب العلم، ومن ثم

التتبع لكل ما استطعت الوصول إليه من مشايخه وتلاميذه، وتناولت بالتفصيل إسهاماته العلمية ومشاركاته الأدبية أو محاوراته ومناقشاته العلمية والأدبية؛ فدوره الاجتماعي والسياسي في بلاده ضمد وبقية المخلاف السليماني، أو في بلاد اليمن واستعانة بعض أئمة صعدة اليمنية به لمساعدتهم في حكمهم، ثم خاتمة موجزة بينت من خلالها أهم نتائج البحث.

ويعلم الله مبلغ العناء الذي كابدته في جمع معلومات هذا البحث من خلال قراءة مئات الورقات المخطوطة بحثًا عن معلومة هنا أو هناك تخص موضوع البحث، أو جانبًا منه.. هذا غير المصادر والمراجع المطبوعة.

والذي أرجوه أن يكون هذا الجهد قد ساهم بقدر المستطاع في القاء الضوء على أحد أعلام وعلماء المخلاف السليماني (منطقة جازان) إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق خلال حقبة تاريخية مهمة من تاريخ هذه المنطقة الحبيبة من وطننا الغالي الحبيب، ولعلني من خلال دراسة جوانب حياة هذه الشخصية قد أسهمت في سد ثغرة صغيرة في مجال لا يزال بحاجة ماسة إلى الكثير من الدراسات التي ترصد وتدرس أعلام وعلماء المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة وبخاصة لفترات القرن العاشر وما قبله ودورهم في الحياة العلمية وغيرها كالاجتماعية والسياسية.

تمهيد:

بلدة ضمد ومكانتها العلمية في القرن العاشر الهجري:

تقع بلدة ضمد على الضفة الشمالية لوادي ضمد المشهور الذي يمتد من أعالي الجبال الواقعة في الجهة الشرقية للمخلاف السليماني (منطقة جازان) حتى يصب في البحر الأحمر

غربًا[1].

وضمد الوادي الذي يحوي عددًا من القرى قديم الذكر ورد التنويه عنه في كثير من المصادر القديمة[2]، وارتبط ذكره بالحديث المشهور "اتق الله ولا يضرك أن تكون بجانب "ضمد"[3]. وهو واد مبارك مشهور بالخير والبركة"[4]. ويذهب بعضهم إلى أن "ضمد" قبيلة من مذحج تنتسب إلى "ضمد بن يزيد بن الحرث بن مذحج"[5]. قال عاكش معقبًا[6] "هذا كلامه ولا يبعد أن يسمى المكان باسم الساكن فيه كما هو معروف في كثير من المدن والقرى، وكما تحكيه كتب التاريخ، فربما سكنته القبيلة المذكورة في قديم الزمن فنسب إليهم".

ومن أشهر قرى وادي ضمد قريتان هما "ضمد" و "الشقيري"[7]، وعلى الرغم من أن الهمداني ذكر ضمد عرضًا بقوله "ثم الهجر قرية ضمد"[8]، إلا أن بعض المؤرخين يذهبون إلى أن "ضمد" المعروفة الآن قد عمرت على يد الفقيه "محمد بن علي بن عمر" – موضوع البحث – وأن هذا هو المشهور، وقد بني فيه المساجد، وخاصة جامعه الذي عمره وبقي قائمًا حتى

(١) حجاب الحازمي. نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص٢٢.

[2] انظر: الهمداني . صفة جزيرة العرب ؛ تحقيق محمد الأكوع .- الرياض : دار اليمامة للبحث والنشر ، ص٧٦، وهامش (٢) بالصفحة نفسها .

(٢) التفصيلات في: الديباج الخسرواني لعاكش (الحسن بن أحمد)؛ تحقيق إسماعيل البشري. – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ، ص ١٧٧. ومنحة الصمد في الميسور من حديث ضمد (مخطوط مصور، بمكتبة حسين زاهر في تسع ورقات) وقد أسهب الباحث: علي جابر شامي في تخريج الحديث بألفاظه ومصادره، ومناقشة أسانيده في بحثه المنشور بمجلة مرافئ، إصدار النادي الأدبي بجازان.

(٣) عاكش: (أحمد بن حسن): منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد (مخطوط مصور، مكتبة حسين زاهر، ورقة: ٢.

(٥) عاكش (الحسن بن أحمد): الديباج الخسرواني: ص ١٧٧.

(٦) المصدر نفسه، والصفحة.

(٧) العقيلي: المعجم الجغرافي (مقاطعة جازان).– الرياض، ١٣٨٠هـ، ص ١٢٨.

(٨) صفة جزيرة العرب ص ٧٦.

اجتحفه السيل عام ١٢٠١هـ[١].

وعلى أية حال فإن ضمد الوادي اشتهر بكونه هجرة من هجر العلم ومركزًا خرج منه كثير من العلماء والفقهاء والأدباء منذ أواسط العصور الإسلامية، وذاع صيته على مستوى الجزيرة العربية شمالًا وجنوبًا بانتساب جمع كبير من العلماء والفقهاء والشعراء إليه. وتتضح هذه المكانة من خلال ما ذكره بعض مؤرخي المخلاف، واليمن عنها؛ حيث يقول ابن أبي الرجال: "وهذه الهجرة الضمدية عمرها الله بالتقوى، مطالع لشموس العلم والآداب، حتى اشتهر أنها لا تخلو عن مجتهد وشاعر، وهو كذلك لم يُعرف ولم يسمع أنه قد خلا.."[٢].

وقال بعد أن ترجم لمجموعة من علمائها وشعرائها: "وفي ضمد أكابر فاتني ذكرهم، وخبرهم الطيب الزاكي"[٣]. وقال في ترجمة العالم ابن جناح الضمدي من علماء القرن التاسع الهجري: "وكان هذا الفاضل لسانًا متكلمًا كما هو منهاج أهله بل منهاج بلده، فلله بلد "ضمد" كم حوت من كرام وعُمد"[٤].

وقال عاكش منوهًا عن كثرة من انتسب إلى وادي ضمد من العلماء والأدباء والشعراء: "وفي أهل هذا الوادي عدد واسع من العلماء ولاسيما قرية "ضمد" و"الشقيري" ففيهم العلماء النحارير، والأدباء المصاقعة، وقد تتبعت بحسب ما اطلعت عليه من علمائهم قديمًا وحديثًا فأنافوا على مئة عالم، فيهم من اتصف بكمال التحقيق، وفيهم من اطلع على سائر العلوم

(١) عاكش: الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني: تحقيق إسماعيل البشري، ص ١٧٧- ١٧٨، القبي: الجواهر اللطاف (مخطوط)، ورقة ٤٠.

(٢) في كتابه: مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، (مخطوط مصور)، ورقة ٦٦.

(٣) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ومجمع البحور؛ تحقيق عبد الرقيب مطهر. - اليمن، صعدة: مركز أهل البيت، ١٤٢٥هـ. — ح١، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢١٠.

تفسيرًا وحديثًا وفقهًا وكلامًا وأصولًا وعربية وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية، وفيهم من صنف وتصانيفه موجودة"[1]، وقوله هذا يدل على فضل هاتين القريتين، ومدى إسهامهما في الحركة العلمية بهذه الأنحاء المهمة من جزيرة العرب بما قدمتاه من تخريج: العلماء والفقهاء، والمعلمين، حيث أسهموا جميعًا في بناء الحياة العلمية بالمخلاف السليماني[2]. وبلغ من شهرة فقهائها كما يقول عاكش أن "الغالب في المخلاف السليماني ألا يكون الحاكم والمفتي والمدرس إلا منهم"[3].

والمتتبع لتاريخ المخلاف السليماني، وتلك الإشارات والمعلومات المنثورة في المصادر المخطوطة والمطبوعة سيقف على أن الحركة العلمية به قديمة تعود إلى بواكير القرون الإسلامية الوسيطة[4]. وأن ضمد على وجه الخصوص قد أخرجت علماء وفقهاء وشعراء برزت شهرتهم خارجها، بل خارج المخلاف السليماني الذي ينتسبون إليه، وكانت جل حياتهم في بلاد اليمن المجاورة نظرًا للكثير من الظروف التي أدت بهم إلى مفارقة أوطانهم وخاصة أبناء ضمد، والعيش في بلاد اليمن أو التنقل بينها وبين المخلاف السليماني كما ستأتي الإشارة.

ومن هؤلاء العلماء والفقهاء والأدباء على سبيل المثال أبو القاسم الحسين بن الحسن بن شبيب[5] الذي يُعتبر من أوائل العلماء المنتسبين إلى ضمد، وهو جد آل النعمان الأسرة العلمية

---

(1) عاكش. الديباج الخسرواني: ص ١٧٨ - ١٧٩.

(2) أبو داهش. أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي ابن يعقوب وأحوازها في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠ - ١٢٠٠هـ/ ١٠٠٩ - ١٧٨٥م)، د.م. ط (١٤٢٠ ص١٧٣).

(3) عاكش. الديباج الخسرواني: ص١٧٩.

(4) انظر: ملامح من الحياة العلمية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة (٦هـ - ٩هـ) للباحث (بحث مقدم للنشر بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية).

(١) حميد الشهيد المحلي. **الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية**؛ تحقيق المرتضى المحطوري. — ط١. - صنعاء: مكتبة مركز بدر، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص ٢٢٣.

الشهيرة في ضمد والتي خرجت الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء[1]. بل يذهب بعض المؤرخين إلى أنه هو الذي اختط قرية "الشقيري" التي تنتسب إليها هذه الأسرة[2]. وقد وصف بأنه "من عيون أهل العلم"[3]، قال يحيى ابن الحسين: "وهو الفقيه الذي أشار إليه السيد الهادي[4] في منظومته بقوله:

وبابن شبيب وهو ذو العلم والعلى وذو المنطق الجزل الفصيح المفضل[5]

كما انتسب إلى ضمد القديمة ذلك الشاعر المشهور "القاسم بن علي بن هتيمل"[6] (ت ٦٩٤هـ تقريبًا). والشاعر العلامة القاسم بن قنبر[7]. والشاعر منصور ابن عيسى بن سحبان الذي كان معاصرًا لابن هتيمل وقد تسبب شعره الذي هجا به أشراف ضمد في مقتله غيلة على يد بعضهم في سنة ٧٢٥هـ)[8].

ولم تكن تخلو من عالم أو فقيه أو شاعر، فقد كانت "مقصد الطلاب، ومجثم العلم والآداب[9]. فمن مشاهير علمائها في القرن السابع الهجري "الفقيه عيسى ابن مطير[10] فقد

(٢) ابن أبي الرجال. **مطلع البدور**، ج١، ص ٨٦١، والأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن – بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ، ج٣، ص١٢١٢.

(٣) عاكش: الديباج **الخسرواني**: ص ١٧٧.

(٤) **الحدائق الوردية** ج ٢، من ٢٩١.

(٥) هو الهادي بن إبراهيم الوزير(٧٥٨هـ – ٨٢٢هـ) له ترجمة مطولة في: **مطلع البدور** لابن أبي الرجال ج ٤، ص ٤٦٢، وما بعدها. الشوكاني. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. – بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص٣١٦ – ٣١٨.

(٦) يحيى بن الحسين. **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) – مخطوط – ورقة ١٣٥.

(٧) هو الشاعر المشهور عاش في القرن السابع، وتوفي تقريبًا سنة ٦٩٦هـ. (الخزرجي. **العقد الفاخر الحسن** (مخطوط مصور، ص ١٥٨).

(٨) عاكش (أحمد بن حسن): منحة الصمد – مخطوط: ورقة ٤ – ٥.

(١) الخزرجي. العقد الفاخر الحسن (مخطوط مصورة: ورقة ١٩٠.

(٢) عاكش (أحمد بن حسن). منحة الصمد (مخطوط: ورقة: ٤.

(٣) وهو حكمي أصله من ضمد كما يقول الشرجي في كتابه الطبقات: ص٢٥٤.

كان عالما تبوأ مكانة كبرى لدى السلطان الرسولي "الملك المظفر" (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) حتى اختصه بالتدريس في مدرسته بتعز[١].

كما ترجم مؤرخو الزيدية للكثير من علمائها وبخاصة من أسرة آل النعمان إحدى أشهر الأسر العلمية في ضمد خلال القرون الإسلامية (الثامن والتاسع والعاشر الهجرية) ممن برع في الفقه والعربية والشعر والأدب[٢].

وفي القرن العاشر على وجه الخصوص شهدت ضمد حركة علمية وأدبية نشطة، على غرار بعض بلاد المخلاف السليماني كأبي عريش وصبيًا وغيرهما.

وقد اشتهر الكثير من علمائها خلال هذا القرن وما بعده ممن انتسب إلى أكثر من أسرة علمية سواء من آل النعمان[٣]، أو أسرة "أل المعافا"[٤] أو أسرة "آل بن عمر"[٥] أو غيرها من من الأسر التي كانت تسكن ضمد والشقيري وما يلحق بهما[٦] حتى أصبحت تعرف بـ"هجرة

(٤) الخزرجي. **العقد الفاخر**: ورقة ١٥٠ – ١٥١.

(٥) انظر: التفصيلات في بحث. ملامح من الحياة العلمية في العصور الإسلامية الوسيطة للباحث.

(٦) ينتسب إلى هذه الأسرة العريقة الكثير من العلماء ذوي المواهب المتعددة، فمنهم من اشتهر بالفقه ومنهم من اشتهربالعلم والأدب والشعر، ومنهم من اشتهركمؤرخ. حجاب الحازمي: نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة، **المخلاف السليماني وتهامة عسير**: ٦٨ – ٧١.

(٤) على الرغم من أن هذه الأسرة من الأسر العريقة في ضمد، إلا أن من عرف من علمائها وأدبائها المنتسبين إليها قليل، وأشهر من عُرف منها في القرن العاشر هو الفقيه العلامة أحمد بن علي المعافا (ت ٩٩٩هـ). (عبدالله ابن علي النعمان: العقيق اليماني – مخطوط مصور عن نسخة نصيف بمكتبة الملك عبد العزيز – جدة. (ورقة ١٤٥، ٢٣٣، ٢٦٣. وعن هذه الأسرة انظر (حجاب الحازمي: المرجع السابق ص ٦٢ – ٦٣).

(١) هي أسرة الفقيه العلامة "محمد بن علي بن عمر" موضوع البحث. (حجاب الحازمي: المرجع السابق، ص ٥١ – ٥٤).

(٢) هناك أكثر من أسرة ضمدية اشتهر منها علماء بعد القرن العاشر ومن أشهرهم أسرة الحوازمة، وأسرة البهاكلة. (حجاب الحازمي: المرجع السابق ص ٥٥ – ٦١ وص ٦٤– ٦٧). والقبي. **الجواهراللطاف** (مخطوط مصور) ورقة: ٤٠.

العلم"[1].

ويُعتبر الفقيه العلامة "محمد بن علي بن عمر الضمدي" موضوع البحث أشهر وأبرز علماء وفقهاء القرن العاشر بضمد وبالمخلاف السليماني على الإطلاق. وهو ما سوف نعرض له في هذا البحث بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

نسبه وولادته ووفاته:

يمتد نسب الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الى الحكم بن سعد العشيرة[2] بن مذحج القبيلة القحطانية اليمنية المشهورة[3]. وأورد حفيده الأدنى الحسن بن عبد الله الضمدي المشهور بعاكش نسبه مسلسلًا إلى "مذحج" فقال: "سيدي وجد آبائي الوالد القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي بن عمر بن يوسف بن عمر بن إبراهيم بن عثمان بن محمد بن أبي بكر بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن حمد [علي][4] ابن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ميشن بن سليمان بن شرحبيل بن كعب بن عيسى بن المجهم بن عوف بن مصه (وهو) سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج وهو مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن يعرب[5] بن زيد بن كهلان بن سبأ"[1].

(٣) عبد الرحمن البهكلي. نفح العود في سيرة الشريف حمود؛ تحقيق محمد العقيلي، دارة الملك عبد العزيز: ص ١٤٨. والقبي: الجواهر اللطاف (مخطوط مصور): ورقة ٣٩.

(٤) عاكش. **اتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف** (مخطوط مصور) ورقة ١٨.

(٥) عبد الرحمن الشجاع. **تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**. – ط ٣. – صنعاء: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م، ص ٣٣– ٣٤، محمد آل مبارك. شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي: جمع وتحقيق ودراسة. — ط١. – جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٧، ٢٠ – ٢٢.

(١) إضافة من مشجرة الشيخ يحيى بن عاكش بضمد (علي أبو زيد الحازمي. من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد. — ط١، ١٤١٣هـ، د.م.ص٨.

(٢) في المرجع السابق: ص ٨ وردت "ابن عريب".

وقد اختلف في تاريخ ولادته فذهب صاحب "العقيق اليماني" إلى أنها كانت في أواخر عام ٨٨٣هـ وأنه العام الذي تزوج فيه أبوه عمر بأم الفقيه محمد. ومن ثم كانت ولادته في آخر العام نفسه[٢]. وتابعه على ذلك بعض من المؤرخين منهم عاكش[٣]. في حين يرى علي أبو زيد الحازمي أن ولادته كانت في عام ٩١١هـ وهو في ذلك يعتمد على أوراق مخطوطة موجودة بيد أقاربه في ضمد[٤]. وعلى الرغم من أن بعض هذه التواريخ متقاربة فإن آخرين وبخاصة من المؤرخين اليمنيين يشذون كثيرًا في تحديد تاريخ ولادته؛ إذ ذكر يحيى بن الحسين صاحب كتاب طبقات الزيدية الصغرى أن ولادته ربما كانت في عام ٨٢٤هـ أو ٨٢٦هـ، وهو ينقل عن تلميذ الفقيه ابن عمر عبد العزيز بن بهران[٥]. وهذا تاريخ بعيد جدًا؛ إذ يناقض المعلومات التي يذكرها ابن الحسين نفسه عن تواريخ وصول الفقيه إلى بعض مشايخه في اليمن ومكة كما سيأتي بيانه. والذي يبدو، والله أعلم، أن المقصود بهذا التاريخ ربما كان والد الفقيه "علي بن عمر". وينطبق ما قلناه آنفًا على قول الأكوع الذي ذكره في مستدركه على كتاب هجر العلم حينما ذكر أن مولده في سنة ٨٢٣هـ[٦] وهذا بعيد جدًا كذلك.

وإذا كان الخلاف ظاهرًا بين مؤرخي المخلاف ومؤرخي اليمن في تحديد زمن ولادة الفقيه العلامة "محمد"، فان الخلاف يضيق عند تحديد تاريخ وفاته وتتقارب الآراء كثيرًا بينهم في تحديد هذا الجزء منه، ولا يشذ عن القاعدة إلا المؤرخ ابن الحسين والمؤرخ الأكوع؛ إذ يذكر

(٣) انظر: **اتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف** (مخطوط مصور) ورقة ١٨.

(٤) **العقيق اليماني** (مخطوط مصور) ورقة ١٤٥، **والوافي بوفيات الأعيان** (نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء)، ورقة ٦٥).

(٥) **الديباج الخسرواني**: ص ١٧٨.

(٦) **رجال العلم في القرن العاشر**، ص ٨.

(٧) **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) مخطوط مصور: ورقة ٣٤١.

(١) اسماعيل الأكوع. المستدرك على هجر العلم ومعاقله في اليمن. — ط١. - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٤هـ، ص ٣٧٥.

الأول أنها كانت في عام ٩٢٦هـ[١] ويستدرك الثاني أنها كانت في عام ٩٣٠هـ[٢].

بينما يذهب أغلب المؤرخين إلى تواريخ متقاربة كما قلنا: فصاحب العقيق اليماني يذكر وفاته في عام ٩٩٠هـ[٣]. ويوافقه عاكش في الديباج الخسرواني[٤]. وابراهيم بن القاسم يذكر أنها كانت في عام ٩٨٨هـ[٥].

ويقترب منه علي أبو زيد الحازمي فيذكر وفاته في عام ٩٨٧هـ[٦]. بينما يرى الجنداري أن وفاته إنما كانت في عام ٩٩١هـ[٧].

وعلى كل فإن الفقيه بلغ من العمر عتيًا: إذ شارف عمره يوم وفاته السابعة بعد المائة عليه رحمة الله[٨].

نشأته وأسرته:

نشأ الفقيه العلامة محمد بن علي الضمدي في أسرة عرفت بالعلم والأدب[٩]، فوالده "علي"

(٢) في طبقات **الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٣٤١.

(٣) في المستدرك على هجر العلم ص ٥٧٣. على الرغم من أن ما ذكره في الجزء الثاني من هجر العلم ترجمة رقم ١٢١٨ في أن مولده عام ٨٨٣هـ.فاته عام ٩٩٠هـ هو الأقرب إلى الصحة.

(٤) **العقيق اليماني** ورقة ١٤٥.

(٥) انظر ص ٧١ منه.

(٦) في كتابه: **طبقات الزيدية الصغرى** ق ٣، ج ٣: تحقيق عبد السلام الوجيه. – ط١. – عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص١٠٣٩.

(٧) **رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد**. ص١١.

(٨) **الجامع الوجيز** (مخطوط مصور) ورقة ١٢٨.وذكر أبو داهش في كتابه: أهل تهامة ص ٢٨٤، أي وفاته كانت عام ٩٩٦هـ. ولم يذكر مصدره لهذه المعلومة خاصة أنه ينقل عن العقيق: والديباج فلعلها تصحفت عنده.

(٢) عاكش: **الديباج الخسرواني**، ص ٧٠.

(٣) علي بن أبي زيد الحازمي: **رجال العلم في القرن العاشر**، ص ١١.

"علي" كان علامة فقيهًا عالما كما يقول صاحب العقيق اليماني[١]. وجده "عمر ابن محمد" وصف بالفضل والصلاح، وأنه شافعي المذهب متصوف، للناس ببلده اعتقاد فيه حسب قوله[٢]. كما أن جده كذلك كان يمت بصلة القرابة لعلامة وقته الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري الحكمي الحرضي[٣] محدث اليمن في عصره وشيخها، صاحب المصنفات المشهورة في الحديث والسيرة والتاريخ وغيرها[٤]. واشتهرت أسرته في المخلاف السليماني بالأسرة العمرية أو أسرة آل ابن عمر[٥]. ولمكانة هذه الأسرة العلمية سماها المؤرخ البهكلي "بالعمريين حملة العلم"[٦]، وقد ذاع صيتها بابنها العلامة "محمد" وبقيت بعده معروفة مشهورة بالفضل والعلم والأدب، وتداول أبناؤها وظيفة القضاء الشرعي بضمد والمخلاف إلى فترة قريبة[٧].

كما اشتهر بعض أحفاد وأقارب الفقيه العلامة بالعلم والأدب خلال القرن الحادي عشر الهجري وما بعده في بلاد اليمن والمخلاف السليماني. فمنهم ابنه يحيى بن محمد، وحفيده الأديب الفاضل محمد بن يحيى بن محمد بن علي المتوفى سنة ١٠٤٩هـ[٨]. ومنهم العلامة حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي العمري[٩] وغيرهم. كما كان حفيده أحمد بن

(٤) عبد الله بن علي النعمان: **العقيق اليماني**: ورقة ٣٠٨.

(٥) المصدر نفسه، وقد توفي عام ٩١٥هـ. وانظر: **الوافي بوفيات الأعيان** ورقة ٦٥.

(٦) يعده بعض المؤرخين من علماء المخلاف السليماني في عصره. عاش أكثر حياته بحرض وإليها نسب، توفي سنة ٨٩٣هـ. وله الكثير من المؤلفات (انظر ترجمته ومؤلفاته عند الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. – بيروت: دار المعرفة، د. ت، ج ٢، ص ٣٢٧.

(٧) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى. ورقة ٣٤١.

(٨) حجاب الحازمي. نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة، المخلاف وتهامة عسير، ص٥١.

(١) عبد الرحمن البهكلي. نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، ص ١٤٨.

(٢) العقيلي: أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان. — ط١. – مكة المكرمة: نادي مكة الأدبي، ١٤٠٧هـ. ص ٤٠، وحجاب الحازمي: نبذة تاريخية عن التعليم. ص ٥١ - ٥٤.

(٣) علي بن أبي زيد الحازمي: من **رجال العلم في القرن العاشرالهجري**، ص١١.

(٤) النمازي: **خلاصة السلاف** (مخطوط مصور عن نسخة الفيفي) ورقة ٨٠.

الحسن بن محمد بن علي فقيهًا علامة برز في علوم العربية على وجه الخصوص واشتهرت دروسه فيها بصنعاء، وأخذ عليه العلم جماعة ذكرهم يحيى بن الحسين في طبقاته[١].

أما أسرة أمه بنت الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النعمان فهي أسرة مشهورة بالعلم والأدب والفقه على مستوى المخلاف السليماني واليمن عمومًا. ويكفي للدلالة على ذلك وصف ابن أبي الرجال لهم بأنهم من مشاهير المخلاف وعيون أهله وأنهم بيت معمور بالعلوم[٢].

فجده لأمه "إبراهيم بن محمد" عرف بالقاضي العلامة، والفقيه الفهامة، وأنه كان فقيهًا عالمًا توفي عام ٩١٠هـ[٣]. وهناك الكثير من هذه الأسرة ممن اشتهر بالفقه والعلم والأدب وتراجمهم مبثوثة في المصادر اليمنية وتواريخ المخلاف وهو ما يدل على مكانة هذه الأسرة العلمية وعراقتها الاجتماعية وقد ألمحت إلى شيء من ذلك في التمهيد.

ونلحظ من خلال استعراض الإرث العلمي والأدبي والمكانة الاجتماعية المرموقة لأسرتيه أن أجداده لأمه أسرة آل النعمان أشهر وأبرز من أسرته "آل بن عمر". لذلك لم تشتهر أسرة "آل ابن عمر" إلا منذ القرن العاشر الهجري على يد المترجم له الذي برز واشتهر في ضمد والمخلاف السليماني، ثم أولاده وأحفاده من بعده[٤] كما تقدم.

---

(٥) **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٣٩٠. وهناك مجموعة أخرى منهم اشتهرت في القرون التالية ذكرهم علي بن أبي زيد الحازمي في المرجع السابق، ص ١١ – ١٣.

(٦) **مطلع البدور**، ج ١، ص ٥٥٣، ٨٥٣.

(١) **العقيق اليماني** (مخطوط)، ورقة ٥٤١.

(٢) حجاب الحازمي: **نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير**، ص٥١، وما بعدها. العقيلي. أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان، ص ٤٠. علي أبو زيد الحازمي. من رجال العلم في القرن العاشر الهجري، ص١١ وما بعدها.

وفي هذه البيئة العلمية والأدبية نشأ وترعرع الفقيه العلامة محمد بن عمر، واغترف من معينها الثر، وكان محوطًا خلال نشأته في حجر والديه الصالحين برعايتهما وقد بدأ تعليمه فى ضمد بحفظ القرآن الكريم، ثم تلقى بعد ذلك مبادئ الفقه وبعض العلوم ربما على يد والديه وأقاربه من أسرته وأسرة أمه، أو في الكتاتيب والمسجد؛ إذ لم تفصح المصادر عن الكيفية التي تلقى بها الفقيه مبادئ العلوم. ولا يبعد أن يكون قد تلقى مبادئ تعليمه عن طريق هذه الوسائل؛ إذ كانت هي الشائع من أنماط التعليم وقت ذاك في المخلاف السليماني وتهامة[1].

صفاته وثناء العلماء عليه:

وصفه كثير ممن عرفه أو اطلع على سيرته ومكانته العلمية من علماء اليمن والحجاز وغيرهم من علماء المخلاف بصفات حسنة وأثنوا عليه ثناءً طيبًا يستدل منه على ما بلغه الفقيه محمد من قامة علمية سامقة، ومكانة اجتماعية بارزة، فى بلاده المخلاف السليماني وغيره من البلاد جنوبًا وشمالًا. فشيخه العلامة ابن حجر الهيثمي المكي (ت ٩٧٤هـ)[2] يقول عنه "الشيخ العلامة الهمام، والمفتي القمقام، المتضلع بالعلوم الشرعية، المتمكن من العلوم الآلية، والأدبية

(٣) حجاب الحازمي. نبذة تاريخية. ص ١٨. وينبغي الإشارة الى أنه على الرغم من وجود حركة علمية نشطة في المخلاف، فلم أقف من خلال المصادر المحلية أو تلك اليمنية التي تناولت جانبًا من الأحداث التاريخية للمخلاف على دور يذكر لأحد من أمراء المخلاف السليماني منذ قيام إمارة الأشراف السليمانيين حتى سقوطهم منتصف القرن العاشر، ولا تلك الإمارات العشائرية الأخرى في المخلاف أو من جاء بعدهم من العثمانيين حتى خروجهم من المخلاف في القرن الحادي عشر الهجري لم يذكروا أن لهم دورًا في الحركة العلمية بالمخلاف كما لم تذكر لهم مدرسة واحدة أسسها أحدهم ولا وقفًا على التعليم وطلبة العلم على غرار ما فعل الرسوليون وقبلهم الأيوبيون في اليمن أو أئمة صنعاء أو أشراف الحجاز وغيرهم: والله أعلم. (انظر: **الحياة العلمية في المخلاف السليماني خلال القرن العاشر الهجري** للباحث (بحث مقدم للنشر).

(١) هو عالم زمانه، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي الشافعي كان بحرًا زاخرًا ولد في عام ٩٠٩هـ وتوفي عام ٩٧٣هـ، وقيل ٩٧٤هـ. ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. - بيروت: دار الفكر، ودار الكتب العلمية، د.ت، ٤/ ٣٧٠ - ٣٧٢، محمد الشلي. **السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**؛ تحقيق إبراهيم المقحفي.- صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ، ص ٥٠٣، الشوكاني. **البدرالطالع**؛ ١/ ١٠٩ وغيرها.

والفقهية"[١]. وينوه عما بلغ من مكانة في العلم والفضل حتى أصبح المعول عليه ببلاده في ذلك الوقت في الفتيا والفقه والعلم بقوله: "وإن أمر بلاده قد انحصر فيه لإحاطته بقوادم الفضل وخوافيه، وليُحيي ما اندرس من ذلك الفن الأكبر"[٢].

وقال أبرز مشايخه في اليمن الإمام شرف الدين يحيى (ت ٩٦٥هـ)[٣] الذي كان إمام الزيدية في عصره، وحاكم اليمن في النصف الأول من القرن العاشر الهجري في صفته "هو الفقيه العالم، تقي الساحة والملائم، بريء الذمة من الجرائم، أحد علماء السنة[٤] المحققين، وخير الأخيار الفضلاء الصالحين، المصقع الفصيح الحبيب، الآخذ من كل فن بأوفر نصيب.."[٥].

كما وصفه عبد الله بن علي النعمان مؤرخ المخلاف في عصره بالشيخ العلامة، الفقيه الفهامة، وأثنى عليه بأنه كان "غاية في علم المعقول والمنقول، إمامًا محققًا له نظم فائق، ونثر رائق، وخط حسن، وله في الإنشاء اليد الطولي، وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول، وما لا تسعه الأوراق، وفيه من السخاء ما لا يوجد في غيره[٦]. وقال في موضع آخر "الفقية العلامة الحبر المدره الفهامة، عز الملة والإسلام.."[٧]. ووصفه السيد محمد بن إبراهيم بن الإمام شرف الدين يحيى بـ "الفقيه العارف الأديب"[٨]. كما وصفه القاضي ابن أبي الرجال "بالعلامة

(٢) إبراهيم بن القاسم المؤيد . **طبقات الزيدية الصغرى** (ق٢ ص١٠٤٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) إبراهيم بن القاسم، **طبقات الزيدية الصغرى** (ق٣ ص١٣٣١ – ١٣٤٣).

(٥) في نسخة من **طبقات الزيدية الصغرى** "الشيعة".

(١) المصدر نفسه ق٢/ ص ١٠٤٠.

(٢) العقيق اليماني "مخطوط" ورقة ٣٠٩. وفي **الوافي بوفيات الأعيان** (مخطوط) نسخة جامع صنعاء قال عنه: كان الفقيه غاية في علم العقل والنقل إمامًا محققًا.. وله في فن الكتابة اليد الطولي.

(٣) **جوهرة المغاص** "مخطوط مصور" غير مرقم.

(٤) في كتابه : **السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية**، ص١٤٥.

المجتهد الصدر"[١]. وذكر ابن فند "بأنه الفقيه الأفضل والعلامة الأعمل"[٢]. وقال عنه يحيى بن الحسين "الفقيه الفهامة، علامة عصره"[٣]. وقال الجنداري في صفته: "الفقيه العالم العلامة، له شعر حسن"[٤]. كما وصفه عاكش "بالقاضي العلامة" وأثنى عليه بأنه "من أئمة المعقول والمنقول، أوحدي زمانه في جميع الفروع والأصول، وأن له في الأدب اليد الطولي"[٥]. كما أثنى عليه أيضًا بأنه كان في وقته المرجع للمشكلات، والمعول عليه في حل المعضلات"[٦]. أما المؤرخ المؤرخ النمازي فيقول عنه "شيخ الإسلام المرجع إليه في الفروع وغيرها من الأصول والأحكام، العلامة الفهامة[٧]. ويصفه المتأخرون بالعلم والفقه، والتفرد بذلك على جميع علماء عصره. فيقول عنه الكبسي "الفقيه العلامة شيخ الشيوخ، كان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول"[٨].

كما يصفه القُبّي في الجواهر اللطاف "بالعلامة المجتهد حامل لواء المذهب الشريف.."[٩]. ويصفه "زبارة" بالقاضي العلامة"[١٠]. وكذلك عبد السلام الوجيه بقوله عنه: "الفقيه العلامة

(٥) **مطلع البدور ومجمع البحور**، ج٢/ ص١٩٧.

(٦) محمد بن علي بن فند. **مآثر الأبرار في تفضيل مجملات جواهر الأخبار**؛ تحقيق عبد السلام الوجيه وخالد المتوكل. — ط١. — عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص١٤٠٦.

(٧) **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٢٩٤، ٣٤١.

(٨) في كتابه: **الجامع الوجيز** (مخطوط) بورقة ١٢٨.

(٩) **الديباج الخسرواني**: ص٧٠، **واتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف** (مخطوط) ورقة ١٧.

(١) المصدران السابقان والصفحة.

(٢) النمازي. **خلاصة السلاف** ورقة ٦٧.

(٣) في كتابه: **اللطائف السنية**: ص ١٩٦.

(٤) في كتابه: **الجواهراللطافت المتوجه بها هامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف** (مخطوط) ورقة: ٤٠. وفي قوله هذا ما يشي بزيديته، والله أعلم.

(٥) انظر: **ملحق البدر الطالع**: ص ٢٠٤.

وحيد عصره"[١]. وقال في موضع آخر "عالم فاضل"[٢]. كما وصفه الأكوع بأنه "عالم محقق في في الأصول والفروع، له مشاركة في بعض علوم العربية، أديب شاعر"[٣].

وهذه النماذج من صفاته وثناء العلماء والمؤرخين قديمًا وحديثًا عليه تدل بوضوح على المكانة الرفيعة التي بلغها الفقيه محمد علمًا وفضلًا. كما تدلّ على أنه كان أبرز الشخصيات العلمية والأدبية بالمخلاف السليماني ليس في القرن العاشر الهجري على ما يبدو، بل مقارنة بشخصيات أخرى برزت في المخلاف السليماني وتهامة خلال العصور الإسلامية الوسيطة[٤].

عقيدته ومذهبه:

على الرغم من أن بعض الأسر العلمية في المخلاف السليماني كانت على المذهب الزيدي في تلك الفترة نتيجة الصلات الوثيقة بينهم وبين مراكز العلم في اليمن وبخاصة صعدة وصنعاء وغيرها، والتي كان المذهب الزيدي يسودها، إضافة إلى علاقتهم بالكثير من الزيدية أئمة أو علماء أو أتباعًا، هذا إلى أن المخلاف كان يخضع ما بين آونة وأخرى وبخاصة في أواخر القرن العاشر الهجري لسلطان أئمة اليمن الزيدية سواء كان هذا السلطان سياسيًا، أو معنويًا[٥]. ومع كل ذلك فإن الغالب على كثير من علماء وطلبة العلم بالمخلاف السليماني وقت ذاك وخاصة

(٦) **مصادرالتراث اليمني في المكتبات الخاصة**. – عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ج ٢/ ص ٤٩٢.

(٧) **أعلام المؤلفين الزيدية**. – الأردن، عمان: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ص ٩٧٢.

(٨) في كتابه: **هجرالعلم ومعاقله في اليمن**، ج ٣/ ص ١٢١٨.

(٩) انظر بحث: ملامح من الحياة العلمية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة (٦ – ٩هـ) للباحث. (مقدم للنشر **بمجلة جامعة الملك خالد**).

(١) القبي. **الجواهر اللطاف** (مخطوط) ورقة رقم ١٣٧، الصميلي. **الحملات اليمنية على المخلاف السليماني في العصرالعثماني الأول** (٩٤٥– ١٠٣٦هـ) بحث غير منشور، ص: ١١ وما بعدها.

في أبي عريش، أو صبيا أو حتى ضمد، أنهم سنة شوافع[1].

والسبب الذي جعلنا نعرض لهذا، ذلك الاختلاف القائم بين من ترجم للفقيه محمد في بيان مذهبه وعقيدته. فعلى حين ذكرنا أن جده "عمر" ووالده "علي" كانا من السنة الشافعية، نجد بعضهم وخصوصًا مؤرخي الزيدية يذكرون أنه كان شيعيًا زيديًا[2].

ولعل دافعهم لمثل هذا القول تلك العلاقة الوطيدة التي كانت بين الفقيه "محمد" وشيخه الإمام شرف الدين يحيى كما سيأتي، وكثرة أخذه عن علماء وفقهاء الزيديه. وتصريحه بمحبه آل البيت في اليمن ومكة في قصائده ومنها قوله على سبيل المثال:

إن لم يكن حب آل المصطفى شغلي ... فلا بلغت بسعي غاية الأمل

منحتهم صافي الود الذي شهدت ... به شواهد أحوالي علي ولي[3]

أو مدائحه للإمام شرف الدين يحيى وأبنائه وأشراف مكة وغيرهم[4]. لكن كل ذلك قد لا يُفهم منه أنه كان زيديًا. يدل على ذلك أيضًا أن بعضًا من علماء المخلاف المعاصرين له ومن أشهرهم "صالح بن صديق النمازي" و "يعقوب النمازي"[5] وغيرهما كانت لهم علاقة وثيقة جدًا جدًا بالإمام شرف الدين يحيى وغيره من علماء الزيدية ولم يكونوا زيدية، بل كانوا سنة

(٢) منهم علماء أبي عريش من الحكميين، والأسديين وغيرهم، وآل شافع، والنمازيون في صبيا وغيرها (انظر: **العقيق اليماني، وخلاصة السلاف** في أكثر من موضع).

(٣) إبراهيم بن القاسم. **طبقات الزيدية الكبرى** ق٢ ص١٠٤٠ ويحيى بن الحسين: المستطاب ورقة ٢٩٤. والأكوع. **هجر العلم ومعاقله**: ج٣، ص ١٢١٨، وعبد السلام الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية**: ص٩٧٢.

(١) يحيى بن الحسين: **المستطاب أوطبقات الزيدية الصغرى**: ورقة ٣٤١ وقال بعدها "وهي طويلة".

(٢) محمد بن إبراهيم شرف الدين، **السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية**؛ دراسة وتحقيق زيد بن علي الفضيل (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) هم من علماء المخلاف السنة الشافعية في القرن العاشر الهجري، وممن رحل إلى اليمن لطلب العلم والمعاش وصحب الإمام شرف الدين، وتعلموا على يد علماء الزيدية (ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**، ق٣ ورقة ١٠).

شوافع[1].

كما أن أسرة آل النعمان أجداده لأمه وهم من أعلام وعلماء ضمد كان الكثير منهم على مذهب الزيدية فعلًا، ولذلك ترجم لبعضهم ابن أبي الرجال في مطالع البدور،

كما ترجم لهم غيره من مؤرخي الزيدية. فلا غرابة إذًا في ميل الفقيه إلى الزيدية وتعلقه بمشايخه من علماء الزيدية. هذا الى أن ابن أبي الرجال مؤرخ الزيدية لم يترجم له في كتاب مطالع البدور على الرغم من أنه استقصى أغلب علماء ضمد وفقهائها حتى القرن الحادي عشر ممن كان زيدي العقيدة والهوى. ويبقى القطع في هذه القضية ممتنعًا؛ لأن عددًا ممن ترجم له من أهل اليمن أو مؤرخي المخلاف السليماني وصفوه بأنه بقية علماء شيعة أهل البيت. كما أشار آخرون إلى سنيته[2].

وعلى افتراض صحة قول من ذهب إلى زيديته، فإن الثابت أنه لم يكن ممن يغالون ويشطحون في القضايا الخلافية بين الزيدية والمسنة وليس عنده كحال غالب علماء المخلاف[3]

(٤) أحمد محمد المشني: من أعلام العلم والأدب في تهامة: (مقال منشور **بمجلة العرب**، ج١، ٢س، ١٤١٤هـ، ص ٢٠٧).

(١) منهم من مؤرخي المخلاف: القبي في، **الجواهر اللطاف**، وممن ترجم له من اليمنيين صاحبًا طبقات الزيدية الكبرى، الصغرى، والأكوع في هجر العلم، وزبارة في ملحق البدر الطالع وغيرهم، وقد سبق معنا أن شيخه الإمام شرف الدين يحيى وصفه بأنه أحد علماء السنة.

(٢) انظر أمثلة على ما كان يدور بين بعض علماء المخلاف وبعض غلاة الزيدية من مناقشات ومحاورات في بعض القضايا وبخاصة "القول في الحرب التي جرت بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم وخروج عائشة رضي الله عنها في حرب الجمل في **مطالع البدور** لابن أبي الرجال ج٢، ص ٤١٤، ٤١٥ مثلًا. وكان علماء المخلاف ممن ذُكر عنهم التشيع أو الميل اليه يقفون بالمرصاد لكل مغالٍ أو مخالف وبخاصة ضد من يحاول النيل من بعض الصحابة رضوان الله عليهم ويردون على المعتدي نظمًا ونثرًا، ومن هؤلاء العلامة أحمد بن علي المعافا الذي يقول من قصيدة طويلة في النهي عن سب الصحابة:

ولسنا نرى للسب فضلًا وإننا ... نرى من عظيم الجهل قبح التعاصب

وما المرء باللعان إن كان مؤمنا ... ومن شيم الجهال نشر المثالب

ولسنا بجهال تغر عيوننا ... لموع سراب في بقاع السباسب

إلى آخر القصيدة. (طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب) ورقة ٣٩٨.

التعصب للمذهب الذي عُرف به بعض علماء الشيعة الزيدية في اليمن، كما ستأتي الإشارة في المباحث التالية.

الرحلة لطلب العلم خلال القرن العاشر الهجري:

شهد المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري حركة علمية وفكرية وأدبية نشطة، وبرز علماء وطلبة علم أثروا الحياة العلمية في هذه الفترة وكانت أكثر روافدهم في طلب العلم عبارة عن جهود شخصية لا تتجاوز المساجد والزوايا؛ حيث تُعقد الحلقات العلمية والدروس الشرعية المتنوعة[1]، وبخاصة في بعض مدن المخلاف التي اشتهرت وقت ذاك بوجود عدد من العلماء والمعلمين كأبي عريش، وضمد، وصبياء وغيرها[2].

وكانت الرحلة خارج بلاد المخلاف إلى المراكز العلمية والفكرية المزدهرة في ذلك الوقت كبلاد اليمن أو بلاد الحجاز من أهم وسائل طلب العلم والمعرفة. واشتهرت هجر العلم ومدنه في بلاد اليمن كقبلة لطلبة العلم ومن المخلاف السليماني وكان علماؤها وحكامها وبخاصة من الزيدية مقصد الراحلين والمهاجرين من بلاد المخلاف السليماني للدراسة والقراءة. وعلى عدد آخر من علماء السنة الشافعية وقتذاك، كما كانت هذه الرحلات سببًا من أسباب التكسب عندما تضيق سبل العيش بهم في بلادهم، وقد ساعدت عدة عوامل على دفع طلبة العلم وعلماء المخلاف للرحلة إلى بلاد اليمن المجاورة في القرن العاشر الهجري على وجه الخصوص مع أن الرحلة الى بلاد اليمن للأسباب الآنفة لم تنقطع طيلة القرون السابقة. ويمكن إجمال هذه

(٣) انظر. **الحياة العلمية في المخلاف السليماني خلال القرن العاشر** للباحث. والعقيلي. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، ج١ / ٢٢٥، وحجاب الحازمي. **نبذة تاريخية عن التعليم**.

(١) حجاب الحازمي. **نبذة تاريخية عيز التعليم**: ص ١٨، وأبي داهش. **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية**. – ط١، ١٤٠٦هـ، ص٤١.

العوامل فيما يلي:

– ضعف الأمن وعدم الاستقرار، وتفشي المظالم في بلاد المخلاف السليماني لأسباب منها انعزال الولاة عن معايشة السكان، وفساد بعضهم، وبخاصة من ولاة الأتراك الجراكسة أو العثمانيين، أو بعض أمراء العشائر الذين كانوا يحكمون أجزاء وأقاليم من المخلاف.

– ضعف هيبة العلماء في نفوس بعض الحكام والعامة والفجوة الواضحة بين الكثير من علماء المخلاف وطلبة العلم به وبين الحكام وأمراء العشائر والظلم الذي كان ينزل بالعلماء وطلبة العلم، وهو الأمر الذي حدا ببعض علماء المخلاف إلى مفارقة وطنه نهائيًا والعيش باليمن إلى وفاته. وآخرون أمضوا سنوات ثم اضطروا إلى العودة إلى أوطانهم[1].

– الحركة العلمية النشطة في اليمن خلال القرن العاشر وبخاصة في مراكز الزيدية في صنعاء وصعدة وغيرهما، إضافة إلى الترحيب والإكرام اللذين كان يجدهما طلبة العلم المهاجرون إلى اليمن من بلاد المخلاف وبخاصة من إمام اليمن فى تلك الفترة الإمام شرف الدين يحيى (ت ٩٦٥هـ)[2]. ويُعلل بعض المؤرخين أسباب انصراف الكثير من علماء المخلاف في القرن العاشر وعلى رأسهم الفقيه محمد ابن علي بن عمر إلى هذا الإمام ويردونها إلى أمور منها:

(٢) رحل الكثير من علماء المخلاف نتيجة الظلم، والتجرؤ عليهم ومنهم العلامة صالح بن صديق النمازي، والفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر محور هذه الدراسة، وله قصيدة عن الظلم الذي نزل به وبغيره مطلعها:

أرى ظلمات الظلم قد عمت الأرض ... ولم أر منقادًا إلى العمل الأرضا

وبين قلوب المسلمين تنافر ... وقد ألقيت فيها المودة والبغضا

.. إلخ (انظرها عند علي بن أبي زيد الحازمي) من **رجال العلم في القرن العاشرالهجري** بضمد ص ٣٢ وما بعدها. (وانظر بعض من رحل عن المخلاف إلى اليمن نتيجة الأسباب السالفة الذكر في كتاب "**العقيق اليماني**" مخطوط ورقة ٢٣٢ وغيرها. ومنهم على سبيل المثال القاضي والمؤرخ أحمد بن مقبول الأسدي والفقيه: أحمد بن أبي القاسم المعافا وغيرهما (**العتيق اليماني** ورقة ١٧٦، ٢٣٢، ٢٣٤).

(١) سيأتي ترجمته قريبًا في مشايخه.

– أنه كان عالمًا موسوعيًا منفتحًا على جميع المذاهب الفقهية، ولم يكن محصورًا ومنغلقًا على مذهبه الزيدي، مع غزارة في علمه تأليفًا وتصنيفًا وتعليمًا[1]. هذا إلى ما شاع عن إكرامه لطلبة العلم دون تمييز، وفتح مجلسه لكل من يأتيه. الأمر الذي جعل كما يقول يحيى بن الحسين: "خلقًا كثيرًا من فقهاء الشافعية وعلمائها يفدون إليه"[2].

– كان الإمام شرف الدين يحيى ذكيًا سعى وحرص من خلال انفتاحه على المذاهب الإسلامية الأخرى، وإكرامه للوافدين عليه من غير الزيدية، على إطلاعهم على حقيقة المذهب الزيدي، وإزالة ما علق في أذهان السنة وبخاصة الشافعية من سوء فهم المذهب وعقيدة الزيدية، وأنها أقرب إلى الباطنية الإسماعيلية المنحرفة. قال الشرفي: "ووصلت وجوه من علماء الشوافع وغيرهم، واختلطوا بعلماء الزيدية، وعرفهم (الإمام يحيى شرف الدين) بمذهب أهل البيت عليهم السلام. وكانت الشافعية يعتقدون أن الزيدية من جملة الباطنية الغوية، فأراد أن يمحو ذلك من أذهانهم، وأن يطلعهم على حقيقة مذهب الشيعة الزيدية"[3].

مشايخه في اليمن:

يُفهم من عبارة صاحب "العقيق اليماني" أن الفقيه محمد ارتحل إلى مدينة "صعدة" وغيرها من بلاد اليمن مباشرة عقب إتمام حفظ القرآن الكريم ومبادئ التعليم الأولى ببلدته "ضمد"[4].

(٢) أحصى له الحبشي، والوجيه أكثر من (٢٤) مؤلفًا ورسالة في عدد من الفنون (انظر: **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون**.– لبنان: دار القرآن، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢١٦: ٢٢٣)، **وأعلام المؤلفين الزيدية**. – ط١.– عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي، ١٤٢٠هـ، ص١٣٣٤.

(٣) **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) مخطوط ورقه ٣٣٤.

(١) في كتابه: **اللآلئ المضيئة** (مخطوط) ق ٢، ورقة ٩١، وانظركذلك: يحيى بن الحسين: **طبقات الزيدية الصغرى**، ورقة ٣٣٥.

(٢) ورقة ٢٠٨.

وقد قرأ على عدد من المشايخ والفقهاء بها، وأخذ عنهم في صنوف من العلم، ومن أبرز مشايخه:

– الشيخ الفقيه محمد بن يحيى بهران[1]، وكان من أبرز علماء عصره في اليمن. ويعتبر ابن بهران من أشهر مشايخه باليمن وأكثرهم أخذًا للعلم على يديه، وقد أمضى الفقيه محمد كما يقول صاحب العقيق "مدة مديدة"[2] وهو يتلقى العلم عليه، ولم يكن ذلك على ما يبدو في رحلة واحدة، بل تعددت رحلاته إليه، وقد قرأ على شيخه هذا كثيرًا وفي أنواع متعددة من فنون العلم. فينقل صاحب طبقات الزيدية الكبرى عن الفقيه "محمد" قوله: "وأكثر قراءتي عليه في التفسير، والعربية، والحديث، والأصول الفقهية والدينية، والقواعد المنطقية، وأكثر العلوم الأدبية"[3].

وقد أجازه شيخه هذا في جميع ما سمعه عنه وقرأه عليه، بل زاد على ذلك كما يقول صاحب الطبقات بأن "أجاز له رواية جميع مستجازاته ومجموعاته[4]، ما قرأه عليه، وما لم يقرأه"[5]. وهذا يدل على أن شيخه ابن بهران قد كتب له هذه الإجازة الطويلة، لكن صاحب الطبقات وغيره ممن ترجم للفقيه محمد لم يوردوها.

ويبدو أن العلاقة بين التلميذ وشيخه لم تكن مجرد علاقة طالب بأستاذه، بل تعدت إلى أن أصبح الشيخ ابن بهران ينظر إلى تلميذه "محمد"، نظرة الصنو ويعامله معاملة القرين لما رأى من

(٣) انظرترجمته في الكثير من المصادر اليمنية على سبيل المثال (إبراهيم بن القاسم. **طبقات الزيدية الكبرى** ق٣ ج ٢ ص ١١٠٣ وما بعدها. الحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي** ص ٢٤، الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية** ص ١٠١٩ وغيرها.

(٤) عبد الله النعمان الضمدي: **العقيق اليماني**: ورقة ٣٠٩.

(١) إبراهيم بن القاسم. **طبقات الزيدية الكبرى** ج٢/ ص ١٠٣٩.

(٢) كذا وردت ولعلها تصحفت عن، "مسموعاته".

(٣) المصدر نفسه: ح٢/ ص١٠٤٠، **والجامع الوجيز** للجنداري (مخطوط) ورقة: ١٣٢.

ذكائه وعلمه[1]، وقد ترافقا في الرحلة إلى صنعاء للقراءة على عالم الزيدية وإمامها وقتذاك الإمام شرف الدين يحيى[2].

– من أبرز مشايخه كذلك الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين (ت ٩٦٥هـ)[3] الذي كان حينها أبرز علماء الزيدية، كما كان حين رحلة الفقيه محمد إليه[4] حاكمًا على اليمن الأعلى. ويُعد الإمام شرف الدين شيخه الثاني بعد ابن بهران في كثرة القراءة عليه والأخذ عنه[5]، فقرأ عليه في كتاب "الأزهار"[6] في الفقه الزيدي. كما قرأ كتاب الإمام الذي شرح به "الأزهار" وسماه "الأثمار"[7]، وقرأ عليه في غيرها. وكان من سياسة الإمام شرف الدين إكرام من

(٤) ذكر ابن أبي الرجال في **مطلع البدور**: ج ٤، ص ٤٠٠ أن الفقيه محمد كان السبب في دفع شيخه ابن بهران لقول قصيدته الشهيرة التي أولها:

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

قال ابن أبي الرجال والفقيه "محمد" هو المقصود بقول شيخه في القصيدة ذاتها:

تمت برسم أخ ما زال يسالني إنشاء أحرفها في الصبح والطفل

(٥) **العقيق اليماني**: ورقة ٣٠٩، **وطبقات الزيدية الصغرى**: ورقة ٣٤١. **وطبقات الزيدية الكبرى**: ج٢، ص ١٠٣٩، ج٣، ص ١٢٤٠، وابن أبي الرجال: **مطلع البدور ومجمع البحور**، ج٤، ص ٤٠٠.

(٦) ولد عام ٨٧٧هـ بويع بالإمامة عام ٩١٢هـ وتوفي عام ٩٦٥هـ. كان عالما من أبرز علماء عصره من الزيدية في اليمن: (**طبقات الزيدية الكبرى** ج٣/ ص ٢١٣٢ وما بعدها).

(١) يذكر المؤرخ عبد الله بن علي النعمان أن وفادته عليه كانت في عام ٩٥٩هـ وهذا تاريخ غير دقيق؛ لأن الإمام شرف الدين تنازل عن الحكم عام: ٩٥٢هـ تقريبًا بعد أن قسم البلاد بين أبنائه وارتحل إلى بلدة "الظفير" وسيأتي معنا أن الفقيه محمد كان سفيرًا سنة ٩٤٤هـ. بينه وبين أبو نمي أمير مكة. فكيف تكون وفادته عليه عام ٩٥٩هـ؟ إلا أن تكون هذه رحلة أخرى لاحقة إلن شيخه مما يدل على أن الصلة لم تتوقف بينه وبين شيخه الإمام شرف الدين.

(٢) **طبقات الزيدية الصغرى**..: ج٣، ص١٢٤٠.

(٣) هو كتاب "**الأزهار في فقه الأئمة الأطهار**" يعتبر عمدة كتب فقه الزيدية. وضعه الإمام المهدي لدين الله أحمد بن المرتضى (ت ٨٤٠هـ).. (الحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** بيروت: المكتبة العصرية، ص٦٣٤ – ٦٣٦

(٤) هو كتاب "**الأثمار في فقه الأئمة الأطهار**"، اختصر فيه الإمام شرف الدين يحيى كتاب "الأزهار" لجده المهدي أحمد السابق ذكره. قال الحبشي عنه "من أشهر كتب الفقه في اليمن" احتفى به الكثير من علماء الزيدية والسنة الشافعية وشرحوه، ومنهم "صالح بن صديق النمازي" أحد علماء المخلاف في القرن العاشر الهجري (الحبشي: **مصادر الفكر الإسلامي** ص ٦٥٦ وما بعدها. و"النمازي: حياته ومؤلفاته" لأحمد المشني، **مجلة العرب**، ج١، ٢س ٢٩ (رجب – شعبان ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ص٢١١، وانظر **طبقات الزيدية الكبرى**: ٣/ ١٢٤٢.

من يتوسم فيه الذكاء وحب العلم وبخاصة من الوافدين عليه من الشافعية من بلاد المخلاف السليماني، لذلك بلغ الفقيه عند شيخه شرف الدين مرتبة كبيرة، بل أصبح كما يقول الجنداري من "أعيان أصحاب الإمام"[١].

وقد لازمه وتنقل معه بين "صنعا" وهجرة "الجراف" السكن الخاص بالإمام شرف الدين[٢]. ويدل على المكانة التي بلغها الفقيه محمد عند شيخه الإمام شرف الدين ذلك التفويض الخاص الذي منحه الإمام لتلميذه بالنظر كما يقول يحيى بن الحسين "فيما يصلح لبيت المال"[٣]. بل كان الإمام إذا خرج إلى جهة ما جعل للفقيه محمد صكوكًا بيضاء قد ختمها بختمه الخاص وترك له حرية كتابة ما يريد لمن يريد، وكيفما يريد"[٤]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق العلاقة بين الإمام وتلميذه الفقيه محمد، وعلى الثقة المطلقة التي أولاها إياه بإعطائه تفويضًا مفتوحًا على بيت المال وشؤونه الخاصة. ومعلوم أن الإمام لم يكن ليعطي الفقيه هذا التفويض الخاص ما لم يكن يعرف من تلميذه نجابته وذكائه وحسن تدبيره وقوة تصريفه للأمور، مع ما عرف عنه من ورع شحيح رحمه الله.

وكان يتردد على شيخه الإمام شرف الدين في أكثر من رحلة تارة لطلب العلم وأخرى للسفارة بينه وبين أشراف مكة كما سيأتي لاحقًا[٥]. وقد أجازه شيخه الإمام شرف الدين إجازة عامة مشتركة بينه وبين شيخ الفقيه وتلميذ الإمام شرف الدين في أن الشيخ "محمد بن

(٥) **الجامع الوجيز** (مخطوط) ورقة ١٣٢.

(٦) انظر: محمد الحجري: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**؛ تحقيق إسماعيل الأكوع. – ط ٣. – صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ: ١ج ص ١٨٢، وإسماعيل الأكوع. **هجر العلم ومعاقله في اليمن**: ج١ ص ٣٣٩ وما بعدها.

(١) **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٣٤١.

(٢) يحيى بن الحسين: **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٣٤١.

(٣) انظر على سبيل المثال: السلوك الذهبية، ص١٤٥.

يحيى بهران" وكانا قد طلبا إليه هذه الإجازة[1] فكتب لهما ما لفظه: "فاستخرنا الله سبحانه وأجزنا لهما جميع مسموعاتنا ومستجازاتنا، وما لنا من مؤلف، ومصنف، ومنظوم ومنثور من كتب الحديث والفروع، والأصوليين والعربية، وجميع ما يجوز لنا روايته، وقد أجزنا لهما جميع ما ذكرناه، لعلمنا أنهما جديران بذلك، وحقيقان بما هنالك"[2].

وقد تتلمذ الفقيه محمد أيضًا لعلماء يمنيين آخرين في كل من صعدة، وصنعاء، وغيرهما. ومن هؤلاء[3]:

- القاضي "عبد الله بن يحيى الزويد"[4] فقرأ عليه ضمن ما قرأه كتاب "التذكرة"[5].

- كما تتلمذ للسيد العلامة "سالم بن المرتضى"[6]، وقرأ عليه كتاب "الأزهار".

- وأخذ العلم أيضًا عن العلامة "محمد بن أحمد حابس"[7]. فكان مما قرأه عليه كتاب

(٤) إبراهيم بن القاسم: **طبقات الزيدية الكبرى**: ج٢ ص١٠٤٠، ويحيى بن الحسين في: **طبقات الزيدية الصغرى**: ورقة ٣٤١، **وملحق البدر الطالع** لزبازه ص ٤٠٣، **والجامع الوجير** للجنداري: ورقة ١٣٢. **ومطلع البدور ومجمع البحور** لابن أبي الرجال: ج٤ ص٤٠٠.

(٥) إبراهيم بن القاسم: **طبقات الزيدية الكبرى**: ج٢/ ص ١٠٤٠.

(٤) المصدر نفسه: ج٢/ ص١٠٣٩.

(٢) كذا ورد الاسم في **طبقات الزيدية الكبرى**. وعند غيره هو: عبد الله بن علي الزويد كان قاضيًا بصعدة، عالمًا تفرد بإقراء "التذكرة"، ولذلك كان يفد إليه العلماء وطلبة العلم لقراءتها عليه، لا يعرف تاريخ وفاته. (يحيى بن محمد المقرائي: **مكنون السر في تحرير نحارير السر**؛ تحقيق زيد بن علي الوزير. – ط١. – مركز التراث اليمني، ١٤٢٣هـ ص٨١ – ٨٣) ويحيى بن الحسين. **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٩١، والأكوع: **هجر العلم ومعاقله**: ج١/ ص ٢٧).

(٣) هي: "**التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة**" للفقيه: الحسن بن محمد النحوي (ت ٧٩١هـ) قال الحبشي عن هذا الكتاب" من الكتب الشهيرة في الفقه الزيدي (انظر: **مصادر الفكر الإسلامي** ص ٢١١، **وأعلام المؤلفين الزيدية** ص ٣٤١).

(٤) هو: سالم بن مرتضى بن غنيمة (ت ق ١٠هـ) مفسر، فقيه، محدث، من أعيان القرن العاشر الهجري. له عدد من المؤلفات (ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**: ٢ج، ص ٣١٨، عبد السلام الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية**: ص ٤٥٥).

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر ولعله ورد خطأ وربما كان محمد بن أحمد مظفر، والله أعلم (**مطلع البدور** ٤ج، ص ٢٠٨).

"مفتاح الفرائض"[١] وكتاب "الوسيط"[٢]، كما قرأ على غير هؤلاء أشياء كثيرة[٣].

رحلاته إلى مكة وشيوخه بها:

لم يقتصر الفقيه محمد على الرحلة في طلب العلم إلى اليمن، بل رحل إلى مكة المكرمة التي كانت مركزًا علميًا بارزًا وتشهد في ذلك الوقت نشاطًا علميًا مزدهرًا نتيجة موقعها الديني؛ حيث الكعبة المشرفة والمشاعر الحرام، فكانت موئل العلماء وطلبة العلم من مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها وشمالها وجنوبها[٤]. وكان طلبة العلم من المخلاف ممن استفادوا من هذا النشاط العلمي ومن علماء مكة والمجاورين والنازلين بها في أشهر الحج والعمرة؛ حيث لا تنقطع الرحلة إلى مكة خلال العام. وكان الحج والعمرة من أهم الدوافع وأسمى المقاصد لعلماء وطلبة العلم من المخلاف السليماني للرحلة إلى مكة والمدينة، ومن ثم الاستفادة خلال ذلك من علمائها قراءة واستجازة[٥] واطلاعًا على النتاج العلمي المتداول عبر ازدهار سوق الوراقة والوراقين في مكة في العصر المملوكي وما بعده[٦].

(٦) هو كتاب: مفتاح الفائض في علم الفرائض "للفضل بن أبي السعيد بن غروي العصيفري من أشهرعلماء الفرائض في اليمن كان معاصرًا للإمام عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤هـ) له مؤلفات في الفرائض هذا أحدها وهو مختصر في علم المواريث. (الحبشي: **مصادرالفكر الإسلامي**: ص٢٩٠).

(٧) هو كتاب: "الوسيط في الفرائض" لأحمد بن نسر بن مسعود العنسي عاش بعد سنة ٥٦٦هـ. والكتاب ملخص من كتاب شيخه "العصيفري" السابق الذكر. (الحبشي: **مصادرالفكر الإسلامي**: ص ٢٩١).

(٨) إبراهيم بن القاسم. **طبقات الزيدية الكبرى**: ج٢، ص ١٠٤١.

(١) أميرة المداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة خلال القرن العاشر الهجري (بحث منشور ضمن كتاب الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) ص ٢٧٠، ٢٨٣.

(٢) رحل الكثير من علماء وطلبة العلم بالمخلاف السليماني إلى مكة والمدينة لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارة، ولطلب العلم على أبرز العلماء المجاورين فيهما. وقد ذكر صاحب العقيق عددًا ممن رحل لطلب العلم من المخلاف السليماني سواء من أبي عريش أو صبيا أو ضمد (انظر: **العقيق اليماني** (مخطوط): ورقة ١٨٤، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٨٣).

(٣) عبد العزيز السنيدي. الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية بمكة خلال العصر المملوكي؛ بحث منشور **بمجلة عالم الكتب**، مج ٢٥، رجب – شعبان/ رمضان – شوال، ١٤٢٤هـ، ص ٢٩.

رحل الفقيه إلى مكة حاجًا ومعتمرًا أكثر من مرة وخلال ذلك طلب العلم على أبرز علمائها وقرأ عليهم، واستجاز منهم، وعلى الرغم من أن المصادر لا تفصح عن كثير من هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم الفقيه وقرأ عليهم ولا تذكر إلا عالمًا كان من أبرز علماء العالم الإسلامي وقت ذاك وهو ابن حجر الهيتمي[1] كما سيأتي، إلا أن إشارة ترد في بعض المصادر تدل على أن الفقيه محمد قد درس على آخرين من العلماء المجاورين بمكة وأخذ عنهم، بعضهم من المصريين وآخرون مكيون[2] كما أشار عاكش إشارة غير مفصلة مفادها أن الفقيه "تخرج على جلّة مشايخ عصره الذين يُشار إليهم في العلوم بالبنان"[3].

وعلى أية حال فإن أبرز مشايخه بمكة هو: علامة عصره، مفتي الشافعية في وقته: أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المصري ثم المكي. ويعد هذا العالم من أبرز العلماء الذين أخذ طلبة العلم والعلماء من المخلاف السليماني العلم على يديه في مكة، ولذلك رثاه بعض تلامذته في المخلاف السليماني يوم بلغهم وفاته عام ٩٧٣هـ بغرر القصائد، الأمر الذي يدلّ على محبتهم له وتعلقهم به واعترافهم بفضله عليهم[4].

درس الفقيه محمد بن علي بن عمر على العلامة ابن حجر الهيثمي، وأخذ عنه كثيرًا من العلوم وقرأ عليه. وقد أتاحت العلاقة الحسنة والصلات الوطيدة التي كانت بين الفقيه محمد

(٤) هو العلامة شيخ الإسلام صاحب التصانيف الكثيرة والفتاوى المفيدة: أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المصري ثم المكي الشافعي، ولد عاد ٩٠٩هـ وتوفي بمكة مجاورًا عام ٩٧٣هـ (عبد الله بن علي النعمان: العقيق اليماني: ورقة ٢٤٣، وما بعدها، نجم الدين الغزي. **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**. – ط١. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ٣/ ١٠١، الشوكاني: **البدر الطالع**. – دار المعرفة: ١/ ١٠٩ وغيرها.

(١) إبراهيم بن القاسم المؤيد: **طبقات الزيدية الكبرى**: ج٢/ ص١٠٤١.

(٢) عاكش: **الديباج الخسرواني**: ص ٧١.

(٣) انظر: **العقيق اليماني**: ورقة ٢٤٤ – ٢٤٧ حيث رثاه تلميذه العلامة محمد بن الصديق بن أبي الفتح الحكمي ومطلع قصيدته:

نبأ أتى من أعظم الأنباء فتقلقلت من هوله أحشائي... إلخ

وبين أمير مكة وقتذاك أبو نمي بن بركات[1] وابنه الحسن بن أبي نمي[2]. حتى أصبح من خواص جلسائهم؛ حيث كان يقيم لديهم أكثر أيام السنة، ويقضي بقيتها في وطنه ضمد[3]. هذه العلاقة ومتابعة السفر إلى مكة أتاحتا للفقيه محمد مداومة الاتصال بشيخه ابن حجر الهيثمي، والأخذ عنه. وهو ما جعله قريبًا من شيخه مُقدَّمًا عنده، حتى أثنى عليه ثناءً حسنًا ووصفه – نتيجة ما يعلمه من بلوغه درجة كبيرة في العلم والفقه – بالعلامة، والمفتي وغير ذلك من صفات الثناء التي أسبغها عليه[4].

وعندما طلب منه إجازة فى جميع ما سمع وقرأ عليه بادر شيخه ابن حجر بإعطائه إجازة شاملة له ولمن بعده من ولده وأصحابه وأهل إقليمه ثقة من الشيخ في تلميذه وفي علمه. يُستدل على ذلك بما ورد في مقدمة هذه الإجازة العامة التي كتبها للفقيه "محمد" حيث يقول "وسألني إجازة له عامة لتُضم إلى مسانيد إقليمه بمسانيد المصريين والمكيين، وليكون جامعًا لطرائق المتقدمين والمتأخرين، فإن أمر بلاده قد انحصر فيه لإحاطته بقوادم الفضل وخوافيه وليُحيي ما اندرس من ذلك الفنّ الأكبر"[5].

وهذه إشادة عظيمة فاز بها الفقيه من شيخه لم يحظ بها أحد من علماء المخلاف غيره.

(٤) هو الشريف أبو نمي: محمد بن بركات بن محمد بن بركات تولى إمارة مكة عقب وفاة والده بركات أواخر عام ٩٣١هـ، ومكث في الحكم فترة طويلة حتى وفاته تمام ٩٩٤هـ. (السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٣: تحقيق ماجدة فيصل. جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ، ص ٢٤٦ – ٣٧٢).

(٥) هو الشريف: الحسن بن أبي نمي بن بركات. تولى الإمارة مشاركة مع أبيه في حياته ثم تنازل له أبوه عنها وأصبح أميرًا على مكة عام ٩٩٢هـ. توفي عام ١٠١٠م. (السنجاري: المصدر السابق، ج٣، ص٥٠٧ وما بعدها).

(٦) النعمان: **العقيق اليماني**: ورقة ٣٠٩. وعاكش: **الديباج الخسرواني** ص٠٧، والعقيلي: **تاريخ المخلاف السليماني**: ج١ / س٣٣٠.

(١) بقي ابن حجر الهيثمي مقيمًا بمكة عند زيارته الثالثة لها عام (٩٤٠هـ) أكثر من (٣٤) سنة مجاورًا ومعلمًا، وكانت هذه الفترة هي أزهى فترات حياته تعليمًا وتصنيفًا وتأليفًا (أميرة المداح: **دور المجاورين**، ص٣٠٩).

(٢) سبقت في مبحث صفاته وثناء العلماء عليه.

وقد نقل صاحب طبقات الزيدية الكبرى هذه الإجازة العامة في ترجمة الفقيه محمد بن علي بن عمر فقال: "واستجاز من الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي الشافعي المكي، وقال ما لفظه: "وقد أجزت للشيخ الإمام "محمد" – يعني ابن عمر – الضمدي وأولاده وأصحابه، وأهل إقليمه، بل ومن أدرك حياتي على رأي من قال به من الأئمة المعتبرين، أن يرووا عني جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع، وتأليف وإفتاء وإيجاز ومناولة، ومكاتبة ووجادة، ومراسلة، وفروع وأصول ومنقول ومعقول، وكتب تفسير، وقراءة حديث، وفقه، وأصول وكلام ونحو وتصريف، ومعان وبيان، وبديع وأدب، ومنطق ومعاجم ومسانيد ومستجازات ومستخرجات، وأجزاء وكتب وتواريخ ودواوين وغير ذلك، بشرطه المعتبر عند أئمة الحديث والأثر، مما أخذته دراية وأسندته رواية، وكان ذلك بمكة في سابع شهر ربيع الأول سنة ست وستين وتسعمائة، انتهى"[(١)]. ولأهمية هذه الإجازة فقد بقي بعض العلماء وطلبة العلم في اليمن يتناقلون روايتها مسندة عن تلامذة الفقيه العلامة إلى الفقيه نفسه إلى شيخه ابن حجر الهيثمي[(٢)].

إسهاماته العلمية ومشاركاته الأدبية:

على الرغم من المكانة العلمية التي بلغها الفقيه العلامة محمد، وتضلعه في كثير من العلوم، وبروز شهرته في بلاد المخلاف السليماني وفي بلاد اليمن، هذا إلى ذيوع صيته العلمي والاجتماعي خلال القرن العاشر الهجري، وخصوصًا في النصف الأخير منه. فإن كل ذلك لم

(١) إبراهيم بن القاسم المؤيد: **طبقات الزيدية الكبرى**: ج٢/ ص ١٠٣٩ – ١٠٤٠، وانظركذلك **طبقات الزيدية الصغرى** (المستطاب) ورقة ٣٤١، وتعتبر هذه الإجازة وثيقة ونموذجًا مهمًا لمعرفة صيغ الإجازات العلمية في ذلك العصر.

(٢) قال ابن الحسين في **طبقاته**: "وللضمدي إجازة من الشيخ أحمد من حجر الهيثمي الشافعي إجازة عامة في جميع مروياته من كتب الحديث، وسائر علوم الإسلام، أخذها منه سنة حجه.. وقد اتصلت لي هذه الإجازة بحمد الله عن الضمدي من طريقين.." الخ. ورقة ٣٤١.

يشفع في أن تفصح المصادر التي بين أيدينا عن الكثير من مساهماته في النشاط العلمي بالمخلاف السليماني وبعض بلاد اليمن، سواء في كشف عدد تلاميذه الذين درسوا على يديه، ونهلوا من علمه على مستوى المخلاف أو بلاد اليمن، أو مشاركاته العلمية الأخرى في أوجه الحياة العلمية المختلفة. مما يمكن استشفافه من النتف القليلة المتناثرة خلال أوراق هذه المصادر التي تدل على عظم مكانة هذا العلامة العلمية في عصره. وبين أقرانه وقتذاك. وقد يكون لإنشغال الفقيه العلامة محمد ببعض أمور عصره، الاجتماعية والسياسية، دور في ضعف استفادة طلبة العلم من علمه ومن ثم قلة أعداد تلاميذه ومريديه وهو ما سنتناوله لاحقًا.

ومع أن عاكش يذهب إلى أنه قد "تخرج على يده جُلة مشايخ عصره الذين يُشار إليهم في العلوم بالبنان"[1]، إلا أن ما وقفنا عليه بعد بذل الجهد في التنقيب والبحث من خلال المصادر المتاحة لا يتجاوز الخمسة كأسماء معروفة صرّحت بهم المصادر ما بين المخلاف السليماني واليمن وهم:

تلامذته من المخلاف السليماني:

- السيد العلامة أحمد بن علي بن قاسم المعافا (ت ٩٩٩هـ)[2]، قال في مطالع البدور "كان هذا السيد من تلامذة العلامة محمد بن علي الضمدي"[3].

كما أكد صاحب العقيق اليماني في ترجمته بعد أن وصفه بأنه كان عالمًا ورعًا فصيحًا أديبًا

(١) عاكش: **الديباج الخسرواني**: ص ٧٠ - ٧١.

(٢) ترجمته في: **مطلع البدور ج١**، ص ٣٧١، **طبقات الزيدية الصغرى**، ورقة ١٦٣، **العقيق اليماني**: ورقة ٣٢٧.

(٣) ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**: ج١، ص٣٧١.

مفوهًا[1]، بأنه أحد تلاميذ العلامة محمد[2]، وكان العلامة أحمد المعافا محبًا لشيخه العلامة محمد، موقرًا له، حريصًا على التواصل معه والاحتكام إليه فيما يعرض له من مشكلات الحياة.

وقد ساعد على ذلك قرابه النسب التي تربطه بشيخه الفقيه العلامة محمد[3].

– محمد بن أحمد بن إبراهيم النعمان[4]. قال في العقيق اليماني: "صحب القاضي ابن عمر ودرس على يديه، وانتفع به[5]. ويبدو أنه كان ملازمًا لشيخه؛ حيث سافر معه إلى مكة، وكان لشيخه دور في إيصاله إلى شريف مكة أبو نمي بن بركات؛ حيث قرر له الشريف راتبًا جاريًا كل عام[6].

– الفقيه: الحسين بن محمد بن الحسين النعمي[7] (ت ١٠١٩هـ)، درس وقرأ على شيخه محمد، وكان ملازمًا له[8]. قال ابن أبي الرجال: "وكان مولعًا بالفقيه العلامة محمد بن علي وحُق وحُق له ذلك"[9].

– من تلامذته كذلك: الفقيه حسين بن أحمد الشبلي (ت ١٠١٩هـ)[10]، قال في العقيق

(٤) انظر ترجمته وبعض قصائده التي مدح بها الإمام شرف الدين في مطلع البدور: ج١ ص ٣٧١. **والعقيق اليماني**: ورقة ٣٢٧.

(٥) حجاب الحازمي: **نبذة تاريخية**، ص ٦٢، والعقيلي: **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ج١، ص ٢٦٩، عاكش: **اتحاف السادة الأشراف**: ورقة ١٧.

(١) **العقيق اليماني**: ورقة ١٤٥.

(٢) انظر ترجمته في **مطلع البدور**: ج٤، ص٢١٧.

(٣) **العقيق اليماني**: ورقة ٣٢٨.

(٤) **العقيق اليماني**: ورقة ٣٢٩، **الوافي بوفات الأعيان** (مخطوط) حوادث سنة ٩٩٩هـ.

(٥) ترجمته في: **مطلع البدور**: ج٢، ص١٩١، **الجواهر اللطاف** للقبي: مخطوط "نسخة غير مرقومة". **العقيق اليماني** ورقة ٣٥٢.

(٦) ذكر ابن أبي الرجال: في **مطلع البدور** (مخطوط) ق٢، ورقة ٢٣٦ أنه كان يلازمه في رحلاته إلى اليمن.

(٧) انظر ترجمته في: **مطلع البدور**، لابن أبي الرجال: ج٢، ص١٩١.

(٨) **العقيق اليماني**: ورقة ٣٥٢.

كان فقيهًا صالحًا بلغ درجة الفتوى والتدريس بجهة ضمد[١]. وذكر أحد الباحثين أنه درس في ضمد على يد الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر[٢].

تلامذته في بلاد اليمن:

لم تكن رحلات الفقيه العلامة محمد إلى اليمن لطلب العلم والسفارة فحسب، بل كان خلال رحلاته هذه مقصد طلبة العلم الذين حرصوا على الدراسة لديه والأخذ عنه والقراءة عليه، وقد أدرك مشايخه في اليمن وغيرهم ممن اتصل به وتعرف عليه مبلغ مكانة الفقيه في العلم والفضل وموسوعية ثقافته[٣] فشجعوا أولادهم للجلوس بين يديه لتلقي العلم. وليس واضحًا من من خلال المصادر المتاحة مبلغ أعداد من طلب العلم عليه. بيد أن الإشارات القليلة تفيد أنه درس في أكثر من بلد رحل إليه من بلاد اليمن، وتلقى العلم عليه عدد غير معروف. وأنه كان يُدرس لهم في جميع العلوم العقلية والنقلية. ومن أبرز ما كان يدرسه لهم هو "المنطق"[٤] فكان الطلبة يقرأون عليه كتاب "إيساغوجي"[٥] في المنطق[٦].

كما قام بإجازة بعض من قرأ عليه بعد اكتمال القراءة وقد بلغت إجازته لأحد تلاميذه ما

(٩) عبد الله النعمان: **العقيق اليماني**: ورقة ٣٥٢.

(١٠) ذكر ذلك نقلًا عن **مطلع البدور**، ولم أجده في المطبوع منه ولا في النسخة المخطوطة التي بحوزتي. – حجاب الحازمي: نبذة تاريخية: ص ٢٥).

(١) ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**: ج١، ص ١٩٢.

(٢) إبراهيم بن القاسم: **طبقات الزيدية الكبرى** ج١، ص ٦٦.

(٣) معناه المدخل: وهو اسم لكتاب وضعه "فرفوريوس" الصوري، أحد فلاسفة الأفلاطونية.

(٤) يبدو من هذا النص أن دراسة المنطق كانت معروفة ومنتشرة في المخلاف السليماني خلال القرن العاشر بدليل أن الفقيه محمد جمع بين التضلع في العلوم الشرعية والأدبية ودراسة علم المنطق حتى أصبح أستاذًا فيه. كما يدل على أن هذا الكتاب كان معروفًا لطلبة العلم بالمخلاف أن العلامة عبد الرحمن البهكلي شرحه وعنوانه **المطلع في علم المنطق المسمى بايساغوجي** نسخة مصورة عن مكتبة الحسين هيج ذات الرقم/ ٥٣ في ٤٦ صفحة.

يقرب من ورقتين[1].

ويعد "عبد العزيز" (٩٤٨هـ)[2] ابن شيخه "محمد بن يحيى بهران" أبرز تلامذته في اليمن على الإطلاق. فقد فصلت المصادر في بيان قوة علاقة "عبد العزيز بن محمد بن بهران" بشيخه "محمد بن علي" ومحبة الشيخ لتلميذه وحرصه على تزويده بالعلوم، وتعهده بحسن الرعاية والتربية. وقد دفع الشيخ إلى ذلك ما لمسه في تلميذه "عبد العزيز" من نجابة وذكاء وما رآه فيه من حب التعلم، وقوة الحافظة فأولاه اهتمامه ومحضه نصحه، وأقبل عليه أثناء رحلاته إلى اليمن بالتعليم والتهذيب والتشجيع. ورأى التلميذ في شيخه غزارة علمه والعناية به، فبرك بين يديه ينهل من علومه ويقرأ عليه كثيرًا، ولذلك كان من أجل تلامذته كما يقول الجنداري[3]. وقد أجازه شيخه إجازة عامة في جميع ما أقرأه إياه ودرسه له في جميع الفنون، ومدح علمه وفضله في هذه الإجازة التي أوردها صاحب طبقات الزيدية الكبرى ولفظها: "وبعد فكان من نعم الله علي وإحسانه المسوق إلي أن قيض لي الاجتماع بالولد الفاضل الكامل، العلامة العامل، ربيب حجر الفضائل، الآخذ في كل فن من العلم الشريف بحظ مائل، وجيه الدين عبد العزيز. وقد وقعت بيننا مذاكرات في كتب من العلوم العقلية والنقلية؛ فمن ذلك (جامع الأصول في أحاديث الرسول) والأكثر من كتاب (التذكرة)، و(شرح الخالدي على مختصر المفتاح) وقرأ علي في (الكشاف) إلى سورة مريم. وقرأ كتاب "القلائد في تصحيح العقائد" وكتاب (تسهيل الفوائد في تكميل المقاصد) و (المختصر الشافي في علمي العروض والقوافي)، والمختصر المعروف

(٥) ذكر ذلك عبد السلام الوجيه. ولم يفصح عن تلميذ الفقيه هذا. ولعله أخص تلامذته به ابن شيخه "عبد العزيز" بن محمد بن بهران. **مصادر التراث اليمني**، ج٢، ص٤٩٢.

(٦) انظر ترجمة "عبد العزيز بن محمد بن بهران" عند ابن أبي الرجال في **مطلع البدور** ج٣. وانظر قائمة بمصادر ترجمته عند عبد السلام الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية** ص٥٥١.

(١) في **الجامع الوجيز** للجنداري: (مخطوط) ورقة ١٣٤.

(بإيساغوجي) في علم المنطق. قرأ أيده الله جميع ذلك قراءة فحص وتحقيق، وأحاط بكل ما اشتملت عليه من كل معنى دقيق، وأبدع في ذلك وأجاد، وبلغ غاية السُؤل والمراد، وقد سألني الإذن في رواية ما سمعه مني، وحفظه عني، وأن أجيز له ما سوى ذلك من مسموعاتي ومستجازاتي، وقد آثرتُ إسعاده، وإجابته إلى ما أراده، لما هو عليه من العلم والورع والإتقان، وإن لم أكن ممن يصلح لهذا الشأن، فأجزت له أن يروى عني جميع ما ذكر، وغير ذلك مما ثبت لي فيه طريق الرواية، غير مشترط عليه إلا ما هو معروف عند أهل النقل، وإن كان يجل عن الاشتراط لما خصه الله به من العلم والفضل"[1].

ولعل محتويات هذه الإجازة تطلعنا على ما كان يدرسه الفقيه العلامة محمد لتلامذته، كما تدل على موسوعيته العلمية وتعدد العلوم والفنون التي كان عارفًا بها.

ولم يتوقف اهتمامه بتلميذه النجيب عند حدّ التعليم والإجازة، بل كان يشد من أزره ويشجعه على إظهار ما يحمله من علم عبر بعض المناظرات التي كانت تدور بينه وبين أقرانه ومعاصريه. ويسوق ابن أبي الرجال على ذلك مثالًا فحواه أن "عبد العزيز" جرت بينه وبين أحد علماء الزيدية الغلاة[2] مناظرة في الصحابة فوقف له "عبد العزيز" وكانت له في الفقه قدم راسخة[3] بحزم ورد عليه قوله وفند حججه وشفع ذلك بوضع كتاب سماه "حل الشبهات الواردات في الصحابة الثقات"[4]. فأعجب ذلك شيخه الفقيه محمد وكان قد تخوف عليه من

(١) ابن أبي الرجال: ترجمة عبد العزيز بن بهران، **طبقات الزيدية الكبرى**، ج٣، ص ٣٩٦.

(٢) ذكره ابن أبي الرجال باسم السيد الناصري، وذكر بعضًا من غلوه في الصحابة وخصوصًا في عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم من خلال مناظراته مع بعض علماء المخلاف السليماني (**مطلع البدور** ج٢، ص١٩٢).

(٣) ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**، ج٢، ص ١٩٦، وإبراهيم بن القاسم: **أعلام المؤلفين الزيدية** ق٣، ج١، ص٣٩٦.

(٤) عبد السلام الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية** ص ٥٥١، أحمد الحسيني: **مؤلفات الزيدية**. – ط١.- مكتبة آية الله المرعشي النجفي، د.م، ط١، ١٤١٣هـ، ج٢، ص ٤٤٩، ترجمة رقم (٣٧٩٣).

لجاجه خصمه في الجدال، فحاول منعه في أول الأمر من المناظرة، ثم لما رأى قوة حجج تلميذه وقدرته على الرد والمناقشة اغتبط به ومدحه بقصيدة أولها:

لله درك يا عبد العزيز لقد وضعت هذا الدوا في موضع الوجع[1]

المناقشات والمحاورات العلمية والأدبية:

ولم يقتصر دور الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر في مشاركاته العلمية باليمن على التعليم بحسب، بل كان يدخل في مناظرات وحوارات علمية مع أقرانه خاصة مع علماء الزيدية الذين كانت بينه وبينهم مودّة، ويلمس عندهم خللًا في بعض آرائهم ونظرتهم تجاه عدد من الأمور الخلافية. ومن ذلك ما ذكره ابن أبي الرجال أن الفقيه العلامة محمد وفد في جماعة من أصحابه وأهل جهاته[2] على عالم الشيعة في وقته القاضي العلامة "الحسين بن محمد المسوري (ت ٩٨٣هـ)[3] – وكانت بين الاثنين مودة وألفة – فتلقاه بالبشر والإنصاف وأنزله ومن معه في أحسن نزل. ثم يصور ابن أبي الرجال مجالس العلم والمناقشات التي كانت تدور بينهم بقوله "فكانوا يدخلون للآداب فى أبواب، ويتعاطون كؤوس العلم أكوابًا بعد أكواب".

ثم يقول كذلك مفصحًا عن ثراء مجلسهما العلمي "وأما هذان الإمامان فما مجلسهما إلا مجمع البحرين ومطلع البدرين، ومن السعادة قران السعدين"[4].

وخلال هذه المجالسات والمحاورات كانت تتبدّى سرعة بديهة الفقيه العلامة "محمد" وملكته

(٥) ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**: ج٣، ص ٤٦.

(١) يقصد بلاد المخلاف السليماني.

(٢) انظر ترجمته مفصلة في: مطلع البدور ج٢، ص١٩٦ وما بعدها. طبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم. ق٣، ج١ ص ٣٩٥ وما بعدها. ملحق البدر الطالع لزبارة ص ٩، هجر العلم ومعاقله لأكوع، ج١، ص٢٦٧.

(٣) مطلع البدور: ج٢، ص١٩٧.

الأدبية والشعرية. ومقدرته الفذة في الردّ؛ حيث يذكر ابن أبي الرجال أن القاضي المسوري الآنف الذكر لما أحضر ما تيسر من الطعام للفقيه وصحبه قال متمثلًا بأبيات القفال الشاشي[1]:

أوسع رحلي على من نزل وإن لم يكن غير خبزٍ وخل[2]

فأما الكريم فيرضى به وأما اللئيم فمن لم أُبَلْ

فبادره الفقية "محمد" على البديهة بقوله:

ليس الكريم الذي تأتيك جفنته مملوءة ويكون الفيصل الفصلا

إن الكريم الذي تأتيك جفنته على الدوام وفيها أيش ما حصلا[3]

وهذه النماذج وغيرها من القصائد الشعرية المتعددة الأغراض تدل بجلاء على أن الفقيه العلامة "محمد" لم يكن عالمًا فقيهًا فحسب، بل له في الشعر يد طولي كعادة الكثير من فقهاء

(١) هو الإمام العلامة، عالم خراسان: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته، وصاحب **المصنفات**، توفي سنة ٣٣٦هـ، وقيل ٥٣٣هـ. (الذهبي: **سير أعلام** النبلاء، ج١٦؛ تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٨٣، السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**: تحقيق محمود الطناحي، د.ت، د.م ج٣، ض٢٠٠ وما بعدها.

(٢) هنا تقديم وتأخير لإعجاز بعض الأبيات. ووردت عن الذهبي جـ٦، ص٢٨٥ من **سير أعلام النبلاء**. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ) بلفظ:

أوسع رحلي على ما نزل وزادي مباح على من أكل

نقدم حاضر ما عندنا وإن لم يكن غير خبز وخل

فأما الكريم فيرضى به وأما اللئيم فمن لم أُبل

ووردت باختلاف يسير عند السبكي في: **طبقات الشافعية الكبرى**: تحقيق الطناحي طبعة مصورة، دم ت: ج٣، ص ٢٠٤. وانظرها أيضًا عند النووي في **تهذيب الأسماء واللغات**.- بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ج٢، ص٢٨٣.

(٣) ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**، ج٢، ص١٩٨.

وعلماء المخلاف الذين جمعوا إلى فضلهم وبروزهم في العلم الشرعي قدرة على قول الشعر ونظمه[1]. ولا نستطيع استنادًا إلى حدود هذا البحث أن نستقصي كل ما ورد من شعره ونظمه عبر مشاركاته الأدبية في الكثير من الجوانب والاتجاهات كالعقيدة والمجتمع، والمدح[2] خاصة المدائح النبوية، وغير ذلك[3].

كما كانت ردوده وأجوبته على بعض ما يُلقى إليه من أسئلة شعرًا، وبعض مناظراته ومحاوراته لمخالفيه في بعض القضايا كان يوردها نظمًا ومنها قصيدته في بيان فضل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد برز فيها علمه وضلوعه في العلوم الشرعية، وقدرته على استحضار الشواهد والأدلة مع تمتعه بنفس طويل في النظم. وتبلغ هذه القصيدة أكثر من ٩٦ بيتًا ومنها:

وفي طيه إرشاد كل معاند ... إلى خير منهاج وأقوم لاجب

سألت سؤالًا والتمست جوابه ... ولم يكن التحقيق عنك بعازب

إلى أن قال:

ومن قد أتى في "هل أتى" ذكر فضلهم ... ففاق الورا في شرقها والمغارب

وهذا هو القول الذي صح أصله ... وقالت به أعلام أهل المذاهب

وفي مسلم منقول زيد بن أرقم ... هم بني هاشم طرًا كرام المناصب

(١) وصفه أحد المؤرخين بالفقيه العارف والأديب (**السلوك الذهبية** ص ١٨٣).

(٢) أبو داهش: أهل تهامة (المخلاف السليماني وصل بن يعقوب وأحوازهما) في القرون الإسلامية الوسيطة ص ٢٢٨٩.

(٣) علي أبو زيد الحازمي: **من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد**: ص٣٦ – ٤٤.

إلى قوله:

وقد قيل بل أزواجه أهل بيته وهذا مقال عندنا غير صائب

وفي آية التطهير في لفظ "عنكم" خطاب لهم من خير كل مخاطب

بصيغته يختص جمع مذكر وذلك للأزواج غير مناسب

وفي قل تعالوا ندع أبناءنا لنا دليل جليٌّ قاطعٌ للمغالب

وقول وسول الله إني تارك رواة ثقات ما لهم من مكاذب

إلى أن قال:

فما أنا فيما قلته متعصبًا ولست بمنقادٍ لأول جاذب

فحرر دليلًا واضحًا وأهدني به سبيلًا به في الحشر تعلوا مراتب

إلخ القصيدة[1]. وأطلت فى سياق بعض أبيات القصيدة للدلالة على منهجه في الحوار والمناقشة والمجادلة العلمية، وكذلك على بعده عن الغلو والشطط في محبة آل بيت النبي، وفي سعة علمه وأحاطته أيضًا.

كما كانت له مشاركات أدبية أخرى تمثلت في مدح أشراف مكة والإمام يحيى شرف الدين إمام اليمن وابنه المطهر بن شرف الدين (ت ٩٨٠هـ) وكانت قصائد محبة وتهنئة بانتصاراته على

(١) وردت هذه القصيدة ملحقة بآخر مخطوطة: "**جوهرة المغاص**" للضمدي. ضمن مجموع بمكتبة محمد الكبسي رقم ٢٦.

مناوئيه[1]. وربما كانت هذه المدائح من باب التكسب بالشعر، والله أعلم. وبعض مشاركاته الأدبية الشعرية كانت ابتهالات ودعاء أشهرها قصيدته اللامية المشهورة، وهي كما يقول أحد الباحثين أبرز نتاجه الأدبي[2]. وستأتي الإشارة إليها وإلى غيرها في مبحث دوره الاجتماعي.

مؤلفاته:

قد يعجب المطلع على سيرة الفقيه العلامة محمد بن على بن عمر ووقوفه على سعة علمه وتنوع ثقافته. ويتساءل عن قلة مؤلفاته مقارنة بغيره من علماء وفقهاء عصره. ولعلّ ما ذكرنا في مبحث تلامذته والسبب في عددهم القليل قد يكون عاملًا أيضًا من عوامل عدم توفره على أوقات يخلو فيها للتأليف والتصنيف.

ويمكن أن نضيف عاملًا آخر سيتضح أثره لنا فيما سيأتي من مباحث وهو كثرة انشغاله بهموم المسلمين ومشكلاتهم كما يقول بعض الباحثين[3]. هذا إلى أن هم المعاش خاصة لمن هم في المخلاف في ذلك العصر الذي كثرت فيه المجاعات، وتفشى الظلم، وعمت الفوضى[4]، الأمر الذي قد يحول دون التفرغ للكتابة والتأليف. وربما كان هذا أو غيره من الأسباب قد أدت إلى صرف العلامة "محمد" عن التأليف ومن ثم قلة مؤلفاته، والله أعلم.

ومن خلال استقصاء المصادر التي ترجمته أو ذكرت طرفًا من حياته تبين أن مؤلفاته لا تعدو رسائل قصيرة: أو منظومات شعرية عبارة عن مدائح نبوية وهي:

---

(٢) محمد بن إبراهيم شرف الدين: **السلوك الذهبية**، ص١٤٥ - ١٤٦، ١٨٣ - ١٨٦.

(١) عبد الله أبو داهش: **أهل تهامة** (المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما) في القرون الإسلامية الوسيطة، ص ٢٨٩.

(٢) علي بن أبي زيد الحازمي: **من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد**: ص ٣٦.

(٣) سبق القول إلى أن العلامة "محمد بن علي بن عمر" عاش أغلب عمره في فترة سيطرة الجراكسة اللوند، والأتراك العثمانيين على اليمن وأكثر بلاد المخلاف السليماني، وفي فترة كانت تكثر المجاعات بالمخلاف.

١- كتاب: التحذير من الظلم. وهو مخطوط يقع في أربعين صفحة. عالج فيه المؤلف الكثير من قضايا الظلم الواقعة في عصره[١].

٢- منظومة في حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

٣- القصيدة الفريدة (كذا)[٣].

٤- قصائد أخرى متعددة الأغراض يبدو أنها رويت عنه وكتبت سماعًا منه، والله أعلم، لم يرد ما يفيد أنه قد كتبها بنفسه: ومنها:

- قصيدته السابقة في التنويه بفضل آل البيت.

- قصيدة أخرى في مدح الزيدية[٤].

- قصائد أخرى في مدح الإمام شرف الدين وابنه المطهر[٥].

- قصيدة في الظلم[٦].

- قصيدته المشهورة في الاستسقاء وهي القصيدة اللامية[٧].

---

(١) **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ج٣ ص١٣١٠ نقلًا عن ابن أبي زيد الحازمي ص١٩.

(٢) عبد السلام الوجيه. **أعلام المؤلفين الزيدية** ص ٩٧٢. وقد وشحها غير واحد منهم السيد يحيى بن صلاح القطابري اليمني. (**مصادر التراث في المكتبات الخاصة باليمن للمؤلف نفسه**: ط١، ص ٣٥٨).

(٣) كذا وردت عند الوجيه في المرجع السابق ج٢، س ٦٥٣. وذكر أنها موجودة بمكتبة العلامة شرف الدين بن قاسم الوجيه.

(٤) ابن أبي الرجال. **مطلع البدور**: ج٤ ص٤١٢ وما بعدها، وقد خمسها الفقيه المطهر بن علي النعمان الضمدي (ت ١٠٤٩هـ).

(٥) محمد بن ابراهيم شرف الدين: **السلوك الذهبية** ص ١٨٤- ١٨٥.

(٦) علي بن أبي يزيد الحازمي. **من رجال العلم في القرن العاشر**.. ص ٣٢ وما بعدها.

(٧) وهي قصيدة مشهورة قالها في مجاعة عام ٩٧٣هـ التي عمت المخلاف السليماني. وقد درس هذه القصيدة التي أوردها عاكش في كتابه **عقود** الدرر أكثر من باحث.

- قصائد أخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي أغراض أخرى[1].

ويبدو أنه من العلماء الذين انشغلوا بالهمّ الاجتماعي، وإصلاح ذات البين وبعض المشاركات السياسية على نطاق ضيق، وما بقي من وقت كان يقضيه في التعليم والقضاء وغير ذلك.

إسهاماته في الحياة الاجتماعية والسياسية:

كان لمكانة الفقيه العلامة "محمد بن علي الضمدي" العلمية وبروز فضله كأشهر علماء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري دور واضح ومؤثر في الحياة الاجتماعية والسياسية في بلاد المخلاف السليماني وبعض بلاد اليمن، وساهم حسن خلقه وقوة علاقاته بأبرز سلطتين بالحجاز واليمن في ذلك العصر في أن يتبوأ هذه المكانة الاجتماعية الرفيعة، وأن يحظى بالاحترام والتقدير في مجتمعه عدا على ما يبدو أولئك الحكام الطارئون على المخلاف السليماني من الجراكسة والعثمانيين الذين لم يكن الفقيه راضيًا عن سياسة بعضهم في إدارة المخلاف خاصة اعتداءاتهم المتكررة على الناس والشطط في جباية الأموال[2]. الأمر الذي جعله أكثر انصرافًا إلى توطيد علاقاته بأشراف مكة وحكام اليمن الزيدية في صنعاء وصعدة. ومن ثم أصبح له صيت واسع عند هؤلاء وأولئك ومكانة كبيرة في بلده، مما سنوضح بعض جوانبه فيما يلي:

(١) علي بن أبي زيد الحازمي: **من رجال العلم في القرن العاشر** ص ٣٨ وما بعدها، وقصيدة أخرى ملحقة بمخطوطة جوهرة المغاص.

(٢) عبد الله بن النعمان الضمدي: **العقيق اليماني** ورقة ٣٠٤ على سبيل المثال.

أولًا: إسهاماته في الحياة الاجتماعية:

تعددت إسهامات الفقيه العلامة "محمد" الاجتماعية خاصة في بلدة ضمد؛ إذ كانت له منزلة عالية على الرغم من بعض ذوي النفوس التي لا تخلو من طبيعة البشر[١]؛ حيث كانوا ينفسون عليه مكانته العلمية والاجتماعية ويرفضون قوله وآراءه. ومع ذلك فقد كان المرجع في حل المشكلات وفك المعضلات والإصلاح بين الناس، وخدمة المجتمع بتجرّد لا يبغي من ذلك إلا الأجر وحسن الذكر[٢].

وقد اشتهر عنه عمله قاضيًا غير متفرّغ أو ما يسميه مؤرخو المخلاف الحكم الشرعي من جهة الصلاحية[٣]. كما تولى الإفتاء في بلده ضمد وغيرها[٤].

كما كان لمكانته العلمية والاجتماعية دور في قيامه بالإصلاح بين العشائر والقبائل المتخاصمة، ونزع فتيل الخلاف الذي كان يقع بين الأسر بعضها مع بعض أو عشيرة وأخرى، وهي من الأمور التي نتجت من ضعف السلطة في كثير من أقاليم المخلاف السليماني خلال القرن العاشر الهجري. ولذلك تعاظم دور الفقيه العلامة "محمد بن علي الضمدي" في الإصلاح بين الناس. والأمثلة على هذا الدور متعددة منها قيامه في شعبان سنة ٩٢٤هـ بالتدخل في الخلاف الذي وقع بين أفراد عشيرة المعافين[٥]؛ إذ استطاع الإصلاح بينهم[٦].

(١) عبد الله النعمان الضمدي: **العقيق اليماني**. ورقة ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، والورقة نفسها.

(٣) **الوافي بوفيات الأعيان مخطوط** غير مرقم (حوادث سنة ١٠١٦هـ).

(٤) علي بن أبي زيد الحازمي: **من رجال العلم في القرن العاشر** ص٢٢.

(٥) السادة الأشراف بنو المعافا من أشراف المخلاف السليماني. ينتسبون إلى الشريف المعافا بن الرديني بن يحيى بن أبي الطيب.. إلى الحسن المثنى بن الحسن البسط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وتنتشر بيوتهم في ضمد والظبية وغيرهما. وهم من الأسرة العلمية المعروفة بالمخلاف: (عاكش: **اتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف** ورقة ١٠).

(٦) النمازي: **خلاصة السلاف** ورقة ٥٢.

كما ساهم بدور كبير في رأب الصدع الذي نجم عن مفارقة العلامة أحمد بن علي المعافا[1] وقومه، بعد أن اشتكى إليه من عدم احترام عشيرته له، الأمر الذي جعله يُفارقهم ملتحقًا بعشيرة أخرى ويراسل شيخه الفقيه بطلب نصحه فتدور بين الشيخ الفقيه محمد وتلميذه الشيخ أحمد محاورة شعرية أوردها صاحب العقيق تنمّ عن حرص الفقيه العلامة على النصح لتلميذه المعافا بالصبر على أذى أقاربه وعدم مقاطعتهم، فهم الرحم الذي ينبغي عليه الصبر عليهم والحرص في المحافظة على مواصلتهم مهما وقع بينه وبينهم:

يا أخي قومك الأقارب فاحفظهم وإن ضيعوا حقوق الجوار

واعف عمن عصاك منهم وعاملهم بصفحٍ عن ذنبهم واغتفار[2]

ولما حلت المجاعة المشهورة بدءًا من عام ٩٧٣هـ في المخلاف السليماني وأكلت الأخضر واليابس، وطال أمدها وتضرر الناس كثيرًا منها[3]، فزعوا إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال، وطلبوا إلى علامة المخلاف وقتها وفقيهه العلامة "محمد" بأن يتقدمهم في صلاة الاستسقاء ويرفع أكف الضراعة إلى الله. فبادر الفقيه العلامة ورفع يديه إلى الله عقب الصلاة مخبتًا خاشعًا وانطلق يدعو الله نظمًا بقصيدته اللامية المشهورة التي جاءت ارتجالًا في هذا الموقف الصعب ومطلعها:

(١) انظر ترجمته عن ابن أبي الرجال: **مطلع البدور**. ج١، ص، والعقيلي: التاريخ الأدبي ج١ ص٢٦٠.

(٢) عبد الله النعمان. **العقيق اليماني**: ورقة ٢٣٣ – ٢٣٥، العقيلي: **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ج١، ص٢٦٩.

(٣) أخبارها مبثوثة في تواريخ المخلاف المحلية. انظر على سبيل المثال: **العقيق اليماني** ورقة ٢٤١، **وخلاصة السلاف** ورقة ٦٧.

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل فلن يخيب لنا في ربنا أمل[1]

وهي من أبرز قصائده كما يقول بعض الباحثين، وأنها تشير إلى مكانة هذا العالم وعلو منزلته خاصة أنه أنشأها وقد بلغ من العمر عتيًا[2].

ولاحظ الفقيه العلامة "محمد" في آخر عمره أن بعض الأراضي بضمد التي تسمى أرض "قرعًا ونخيلان"[3] قد احتازها وبسط عليها بعض المتغلبين من الناس وادعوها وهي ليست لهم فقام بحجرها، ومنع من تملكها مستفيداً من مكانته في مجتمعه ومركزه القضائي في كف أيدي هؤلاء المتغلبين عنها. وقد أُختلف في بيان سبب قيام الفقيه "محمد بن علي" بذلك، فمنهم من ذهب الى أن السبب في فعله هذا إنَّما هو لعلمه أن لهذه الأراضي ملاكًا أصليين قد مات بعضهم وتفرّق البعض الآخر نتيجة ما حلَّ بالبلاد من مجاعة وقحط وأوبئة تعرف في المخلاف بسنة أم العظام. فخشي أن يبسط عليها ويستولي من ليس له فيها حق[4]، ومنهم من ذهب إلى أن السبب في عمله هذا إنما هو لمعرفته بأنها أرض ليس لأحد فيها حق فأراد أن يجعلها مشاعًا بين السكان تكون لهم كمرعى ومحتطب وما أشبه.. ومن ثمَّ أوقفها للحيلولة دون ادعائها من البعض واحتكارها. ولم يُعرف السبب الحقيقي وراء هذا العمل من الفقيه رحمه الله؛ لأنه توفي بعد ذلك بأيام قليلة وإن كان صاحب العقيق اليماني قد رجح السبب الثاني[5].

(٤) والقصيدة تقارب ستة وأربعين بيتًا: وذكر عاكش رواية عمن حضر أن الفقيه "محمد" لم يكمل القصيدة، ولم يبرح مكانه حتى أمطرت السماء وسالت الشعاب (**اتحاف السادة الأشراف**، ورقة ٢١). **والديباج الخسرواني**، ص٧١). العقيلي: **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان** ج١، ص٣٣٠ – ٣٣٣.

(١) أبو داهش: **أهل تهامة** ص ٢٩٢.

(٢) أرض "قرعا" و"نخيلان" موضعان يقعان في جهة ضمد ولا يزالان يعرفان بهذا الاسم حتى الآن (العقيلي: **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جازان، المخلاف السليماني**)، ص ١٨٥، ١٨٦، ٢٢٤.

(٣) عبد الله النعمان: **العقيق اليماني**: ورقة ٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ورقة ٢٤٢، والعقيلي: **تاريخ المخلاف السليماني** ج١، ص٣١١.

ولعل من أهم أعمال الفقيه العلامة "محمد" الاجتماعية التي كانت من أبرز الخدمات التي قدمها لمجتمعه وأبناء بلده ضمد والبلاد الأخرى في المخلاف السليماني تلك المساعي الحميدة التي استفاد فيها من علاقاته الجيدة ومكانته الرفيعة عند شريف مكة أبو نمى بن بركات وابنه حسن بن أبي نمي فوسطهما للسعي لدى السلطان العثماني لرفع جور العمال الأتراك الذين كانوا يجورون على أهالي المخلاف وضمد على وجه الخصوص عند جباية الضرائب الحكومية، وكذلك لإعفاء أهالي ضمد وغيرها من هذه الواجبات التي أثقلت كاهلهم وأضرت بهم. وكان أن بذل الشريفان جهدهما ومساعيهما لتحقيق طلب الفقيه "محمد" ومن ثم صدرت الموافقة السلطانية على ذلك وتمت مخاطبة الوالي العثماني في اليمن الباشا "محمود" الذي زاد في إكرام الفقيه العلامة "محمد" فوهب له إضافة إلى ما سبق إعفاء أهالي أودية "بيش" و "وساع" و "رملان" و "عتود" و "الشقيق"[1].

كما صدرت الأوامر بأن تُسلم الزكوات الشرعية للفقيه العلامة "محمد" ليقوم عليها ويتولاها بنفسه، ويصرفها في مصارفها[2]. وكان من نتيجة هذه المكرمة والخدمة العظيمة التي سعى فيها الفقيه لأبناء بلده والبلاد الأخرى أن "حسنت بذلك الأحوال، وعمرت من الوادي المذكور "وادي ضمد" جميع المحال كما يقول المؤرخ عاكش[3].

ثانياً: مشاركاته في الحياة السياسية:

(١) عبد الله النعمان. العقيق اليماني: ورقة ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٦، العقيلي: **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان**، ج١، ص٣٣٠، عاكش. **الديباج الخسرواني** ص٧٠.

(٢) **العقيق اليماني**: ورقة: ٣١٦، ٣١٧، عاكش. **الديباج الخسرواني**، ص٧٠.

(٣) **العقيق اليماني**: ورقة ٣٠٨ – ٣٠٩، وعاكش. **الديباج الخسرواني**، ص٧٠.

ذاع صيت الفقيه العلامة "محمد" في بلاد اليمن المجاورة، وكان لمكانته العلمية والاجتماعية في بلاده "المخلاف السليماني" وفي أوساط العلماء وطلبة العلم باليمن دور في سعي بعض الطامحين للإمامة والسلطان من كبار الزيدية لاستمالة الفقيه العلامة محمد إليهم، والاستفادة منه ومن حسن تصريفه للأمور في كسب التأييد لدعواتهم خاصة من قام منهم في "صعدة".

وقد أدرك الإمام شرف الدين يحيى إمام صنعاء واليمن في وقته ما يتمتع به الفقيه العلامة من قبول لدى الناس وإجادة التدبير للأمور وحسن سياستها فولاه شؤون بيت المال كما سبقت الإشارة.

لذلك حرص الإمام "أحمد بن عز الدين بن الحسن[1] (ت ٩٨٧هـ) الذي دعا لنفسه بالإمامة في صعدة على مراسلة الفقيه العلامة "محمد بن علي" ودعوته إلى الانضمام إليه ومساعدته على تدبير الأمور ونشر الدعوة في بلاد اليمن والمخلاف المسليماني. وقد تابعه العلامة "محمد بن علي" والتحق به في صعدة فقربه الإمام أحمد بن عز الدين وأولاه ثقته وألقى إليه بزمام أموره حتى أصبح العلامة "محمد" جليسه ومستشاره الخاص، وقاضيه[2]. ومن ثم أرسله لنشر الدعوة واستمالة الأتباع في بلاد "عذر"[3]، و "الأهنوم"[1]، و"السوده"[2] من بلاد

(١) هو أحمد بن عز الدين بن الناصر لدين الله الحسن. دعا لنفسه بالإمامة عام ٩٥٨هـ وقد عاضده الإمام شرف الدين عقب قيام الخلاف بينه وبين ابنه المطهر. دخل في صراع مع المطهر بن شرف الدين ومع الأتراك ثم اضطر الى التنازل عن الإمامة وتسليمها لابن أخيه أحمد ابن الحسين. ابن فند. **اللواحق الندية بالحدائق الوردية:** تحقيق عبد السلام الوجيه. – الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي، ١٤٢٣هـ، ج ٣، ص١٤٠٨ – ١٤١٣هـ.

(٢) عبد الله النعمان. **العقيق اليماني**. ورقة، ٢١٦، ٢١٧، ابن فند: **اللواحق الندية** ج ٣، ص ١٤٠٩. ويبدو أن سبب متابعة العلامة محمد بن علي للإمام أحمد بن عز الدين هو مباركة شيخه الإمام شرف الدين لدعوة الإمام أحمد، وكذلك نكاية بالمطهر الابن العاق للإمام شرف الدين.

(٣) بضم العين وبكسرها. قبيلة كبيرة من حاشد باليمن. إبراهيم المقحفي: **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. – صنعاء: دار الكلمة، د. ت، ج ٢، ص ١٠٣٣.

اليمن. فحقق مكاسب كبيرة وكان من نتيجة جهوده التي بذلها أن دخل في طاعة الإمام أحمد بن عز الدين جملة من أشراف هذه البلاد[٣]. وأعجب إمام صعدة "أحمد بن عز الدين" بجهود العلامة "محمد" وإخلاصه فأوكل إليه أمر قبض الزكوات والواجبات المالية في البلاد السابقة وغيرها[٤].

ومع ذلك لم يستمر العلامة "محمد بن علي بن عمر" مع الإمام أحمد بن عز الدين" وفارقه في ظروف غير معروفة. لكن على ما يبدو أنه لما رأى بوادر فشل حركته ودخوله في صراعات مع الإمام المطهر بن شرف الدين يحيى الذي كان قد دعا لنفسه بالإمامة في صنعاء. ونتيجة للعلاقات القديمة بين العلامة "محمد" والمطهر[٥] آثر الوقوف على الحياد ومن ثم تخلى العلامة "محمد" عن متابعة إمام صعدة "أحمد بن عز الدين المؤيدي" ونزل إلى بلاده تهامة[٦]. واضطر الإمام "أحمد بن عز الدين المؤيدي" بعد أن دخل في صراعات عديدة ضد الأتراك والمطهر بن شرف الدين والأمير ناصر الحمزي وغيرهم إلى التنازل عن الإمامة لابن أخيه أحمد بن الحسين[٧] وعندما حانت وفاته لم يجد أحدًا أولى بثقته من العلامة "محمد" الذي كان سنده وأخلص خلصائه بالأمس فأرسل إليه يفوضه النظر المطلق والتصرف الكامل في قسم كبير من أمواله،

(٤) ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء بها الكثير من القرى والحصون. الحجري: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**؛ تحقيق الأكوع.- ط٣. - صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ، ج١، ص٩٥).

(٥) بلدة مشهورة في الشمال الغربي من صنعاء. (الحجري: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج٢، ص٤٣٤).

(١) **الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغريال الزمان** (مخطوط) نسخة جامع صنعاء ورقة ١٦٨. وابن فند: **مآثر الأبرار (اللواحق الندية)** ج٣، ص١٤٠٩.

(٢) **العقيق اليماني** (مخطوط) ورقة ٢١٧.

(٣) كانت بين العلامة "محمد" والمطهر بن شرف الدين علاقة حسنة ومدحه بمدائح لكنه غضب منه عندما عق أباه الإمام شرف الدين وخرج عليه واضطره إلى مبارحة صنعاء والتنازل عن الإمامة (**السلوك الذهبية** ص١٤٥).

(٤) **العقيق اليماني** (مخطوط) ورقة ٢١٧.

(٥) ابن فند: **مآثر الأبرار**، ج٣، ص١٤١٠ – ١٤١١ والشرفي: **اللآلئ المضيئة** ق٣ ورقة ٩١ – ٩٣.

وأوكل إليه أمر توزيعها فيما يرى من وجوه الخير خاصة في تهامة وبلاد المخلاف[١] . كما جعله وصيًا على أولاده كذلك[٢].

وكان أخوه السيد "محمد بن عز الدين المؤيدي"[٣] قد فوض العلامة "محمد" كذلك بأن يكون الناظر في أمواله ووكله لتصريفها فيما يراه من أوجه الخير[٤]. وهذا يدل على الثقة المطلقة التي حازها العلامة "محمد" لدى أئمة اليمن وكبرائها.

وكانت هذه المكانة، والثقة الكبيرة في العلامة "محمد" سببًا في أن يحرص على كسب وده واستمالته إلى صفه ثائرٌ آخر من أئمة الزيدية في اليمن وبصعدة على وجه الخصوص[٥]. وهو الإمام "الحسن بن علي بن داود المؤيدي[٦] الذي قام بالدعوة لنفسه بالإمام في "جبل الأهنوم" في حوالي سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م[٧]. وقد حرص على توجيه الدعوة للعلامة "محمد" للانضمام إليه والقيام بأخذ الدعوة نيابة عنه في أطراف بلاد اليمن وبلاد المخلاف السليماني . ولكن

(٦) الشرفي: **اللآلئ المضيئة** (مخطوط مصور) ق٣، ورقة ١٢٧.

(٧) المصدر نفسه، ق٣، ورقة ١٢٧.

(١) دعا لنفسه بالإمامة قبل أخيه "أحمد" في بعض بلاد صعدة عام ٩٢٩هـ. ولم يستقر الأمر له نتيجة منازعة الإمام شرف الدين الذي دعا لنفسه في صنعاء وما حولها. توفي سنة ٢٤٩هـ. (عبد الله الجرافي: **المقتطف من تاريخ اليمن**. – ط٢. – العصر الحديث، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص ٢٠٦).

(٢) الشرفي: **اللآلئ المضيئة** (مخطوط) ق٣، ورقة ١٢٧.

(٣) كان بعض علماء المخلاف مقصد هؤلاء الثائرين من أئمة اليمن، فقد حرصوا على استقطاب بعضهم إلى جانبهم للاستفادة من مكانتهم العلمية والاجتماعية. وتذكر بعض كتب تراجم الزيدية بعضًا من ذلك، ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن أبي الرجال من أن السيد عبد الله ابن علي بن الحسين المؤيدي قام بمراسلة العلامة أحمد بن علي المعافا الحسني (ت ٩٩٩هـ) للانضمام إلية والقيام بالدعوة له في بلاد المخلاف. وبعد عدة مراسلات أذعن له العلامة المعافا وتابعه .. (**مطلع البدور**: ج١ ص ٣٧١ وما بعدها).

(٤) هو: الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي المؤيدي. دعا لنفسه بالإمامة في جبل الأهنوم عام ٦٨٩هـ. وكان أحد علماء الزيدية، وقد دانت له أكثر اليمن في أول الأمر، ثم ما لبث أن تصدع حكمه نتيجة صراعه مع الأتراك الذي انتهى بالقبض عليه وإرساله إلى الاستانة عام ٩٩٣هـ (ابن فند: **مآثر الأبرار**: ج٣، ص ١٤١٨ – ١٤٢٣).

(٥) الجرافي: **المقتطف من تاريخ اليمن**: ص٢٠٨.

يبدو من كلام الشرفي أن العلامة "محمد" لم يجبه ولم يحفل بهذه الدعوة، ورفض متابعته[1]، ولم يذكر المؤرخ الشرفي سببًا ظاهرًا لرفض العلامة "محمد" غير أنه ساق في أثناء كلامه ما يدل على أن العلامة حزن كثيرًا على ما آل إليه حال الإمام "الحسن بن علي بن داود" من تفرق الناس عنه وضعف حاله. وذكر الشرفي أن العلامة "محمد" بكى حينما حضرته الوفاة فلما سأله من حوله عن سبب بكائه أجابهم أنه تذكر تقصيره في القيام بحق الإمام "الحسن بن علي" وعدم مد يده له بالمساعدة حتى ببعض المال الذي استؤمن عليه وأُوكل التصرف فيه من قبل ذوي قرابة الإمام "الحسن"[2] . وكان للعلامة "محمد بن علي بن عمر" أسبابه في عدم متابعة الإمام "الحسن بن علي" يمكن استنتاجها كالتالي:

أولًا: فإن العلامة "محمد" كانت تربطه روابط وثيقة بأبناء الإمام شرف الدين وأحفاده الذين بقيت إمامة صنعاء في أيديهم بعد وفاة المطهر، ولذلك رأى في دعوة الحسن بن داود تعديًا على ما ليس له. ومن ثم رأى أن من الوفاء لآل شرف الدين والمطهر ألا يمد يد المساعدة لمن نازعهم سلطانهم. والله أعلم.

ثانيًا: كان العلامة "محمد" قد بلغ حين قام الإمام "الحسن بن علي" بدعوته من العمر عتيًا ولم يعد بمقدوره تحمل تبعات الدعوة ونشرها فرفض المشاركة وتقديم المساعدة.

وأما رفضه تزويده ببعض الأموال التي كانت تحت تصرفه من أموال آل المؤيد التي أوكلوا إليه أمر النظر في تصريفها خاصة بعد أن راسله الإمام "الحسن بن علي" شكا إليه الحاجة إلى هذه الأموال لمجابهة الأتراك. فليس ظاهرًا سبب منعه منها، إلا إن كان قد رأى أنه لا يستحقها. وهو

(٦) الشرفي: **اللآلئ المضيئة**، ق٣، ورقة ١٢٧.

(١) الشرفي: المصدر نفسه والورقة.

ما ألمح إليه الشرفي من ندم العلامة "محمد" على امتناعه من مساعدة "الإمام الحسن بن علي"[1]. ولعل تصوير الشرفي لردة فعل الفقيه العلامة ومدى حزنه فيه الكثير من المبالغة، والله أعلم.

ولم تتوقف مشاركات العلامة "محمد" السياسية على مد يد المساعدة لبعض أئمة اليمن الزيدية، بل كانت علاقته الوطيدة بشريف مكة "أبو نمي بن بركات" سببًا في أن يخرج سفيرًا له إلى بلاد اليمن خاصة إلى شيخه إمام اليمن وقتها "الإمام شرف الدين يحيى"، فيذكر المؤرخ محمد بن إبراهيم شرف الدين أن العلامة "محمد بن علي بن عمر" وفد عام ٩٤٤هـ بهدايا سنية من الشريف أبي نمي بن بركات تضمنت ملابس غالية مختلفة الأنواع للإمام وأولاده المطهر وشمس الدين وعبد الله وكان بمعية العلامة في هذه السفارة جماعة من أهل جازان وضمد. وبعد أن بقي بحضرة الإمام أياما أعاده سفيرًا إلى شريف مكة وأصحبه هدية سنية للشريف، كما ضاعف الإحسان على العلامة "محمد" وخلع عليه نفس الخلع ، وأرسل معه أولاد الإمام شرف الدين بجملة من الهدايا لشريف مكة[2].

ومن خلال ما سبق نقف على أن الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدى كان له الكثير من الجهود موزعة بين التعليم والمشاركات الأدبية، كما كان دوره في مجتمعه بارزًا وأياديه بالفضل على هذا المجتمع بيضاء، كما لم يكن غائبًا عن المشهد السياسي وإن كان اليمن قد استحوذ على جهوده هذه لسبب سعي أولئك الأئمة الزيدية الذين ذكرناهم لكسب ودّ وتعاطف العلامة "محمد" واستمالته إليهم اعترافًا منهم بقدراته ومكانته، وهو الأمر الذي يدل

(٢) **اللآلئ المضيئة** (مخطوط) ق٣، ورقة ١٢٧.

(١) انظر التفاصيل في: **السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية**؛ دراسة وتحقيق زيد الفضيل (رسالة ماجستير غير منشورة)، ١٤١٨هـ، ص١٨٣ – ١٨٦.

على حال المخلاف السياسي المضطرب وقت ذاك. فكان جل نشاط الفقيه العلامة موجهًا بعد التعليم إلى المشاركات الاجتماعية التي تخدم مجتمعه في بلاده المخلاف السليماني عامة و"ضمد" على وجه الخصوص.

الخاتمة:

توصل البحث بفضل الله إلى بعض النتائج المهمة منها:

- إبراز ما كانت تشهده بلاد المخلاف السليماني (منطقة جازان) من حركة علمية نشطة خلال القرن العاشر الهجري نتيجة عدة عوامل ساهمت في هذا الحراك العلمي والثقافي المتعدد والمتنوع.

- أوضحت الدراسة أن العلامة الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي كان أبرز الشخصيات العلمية على مستوى بلاد المخلاف في القرن العاشر الهجري في ضوء تعدد أنشطته العلمية وتنوع مكانته الأدبية.

- توصلت الدراسة إلى أن للعلماء دورًا في الحياة الاجتماعية والاهتمام بقضايا المجتمع، والعمل على حل المشكلات التي كانت تقع في تلك المجتمعات، وبينت أهمية الدور الذي قام به العلامة محمد بن علي بن عمر في حل الكثير من المشكلات، وفك بعض المعضلات التي عُرضت عليه.

- نوهت الدراسة عن مكانة الفقيه العلامة محمد في عصره وذيوع صيته في المجتمعات الأخرى ذات العلاقة بمجتمع المخلاف السليماني، وتمثل في حرص بعض الحكام على استقطابه إليهم، وطلب مساعدته لهم، والاستعانة به في تصريف بعض شؤونهم، الأمر الذي يدل على ما بلغه العلامة محمد بن علي بن عمر من مكانة مرموقة، ومن ثقة في عدالته وصدقه وحسن تصريفه وتدبيره للأمور.

- خلصت الدراسة إلى أهمية الدراسات في هذا الجانب لإبراز أعلام وعلماء المخلاف السليماني في العصور الإسلامية الوسيطة؛ إذ إن الدراسات التي ترصد الحياة العلمية وتراجم علماء القرن العاشر وما قبله نادرة، بل معدومة، وذلك لقلة المصادر من جانب، ولأن الكثير منها ما زال في حكم المخطوط أو المفقود.

المصادر والمراجع

أ- المخطوطات:

١- اتحاف السادة الأشراف سكان المخلاف لعاكش: مخطوط مصور.

٢- الجامع الوجيز للجنداري: مخطوط مصور عن مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

٣- الجواهر اللطاف المتوجه بها بهامات الأشراف سكان المخلاف للقبي، محمد حيدر، مخطوط مصور.

٤- جوهرة المغاص لعبد الله بن علي النعمان، (مخطوط مصور).

٥- خلاصة السلاف، للنمازي: محمد بن علي، (مخطوط مصور).

٦- طبقات الزيدية الصغرى- المسمى: المستطاب في تراجم الزيدية الأطياب. ليحيى بن الحسين. مخطوط مصور.

٧- العقد الفاخر الحسن للخزرجي. (مخطوط مصور).

٨- العقيق اليماني لعبد الله بن علي النعمان (مخطوط مصور) عن نسخة الشيخ محمد نصيف (جامعة الملك عبد العزيز).

٩- الوافي بوفيات الأعيان المكمل لغربال الزمان لعبد الله بن علي النعمان. (مخطوط مصور عن جامع صنعاء الكبير).

١٠- اللآلئ المضيئة ق٣ الشرفي. (مخطوط مصور).

١١- منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد لأحمد بن حسن عاكش. نسخة مصورة عن

مكتبة الأستاذ: حسين هيج، بدون رقم

١٢- مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية لابن أبي الرجال. (مخطوط مصور عن عدة نسخ مختلفة).

ب. المصادر:

١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: محمد بن علي.- بيروت: دار المعرفة د. ت.

٢- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية لحميد الشهيد المحلي؛ تحقيق المرتضى الحطوري. — ط١. - صنعاء: مكتبة ومركز بدر، ١٤٢٣هـ.

٣- الديباج الخسرواني في أعيان المخلاف السليماني لعاكش؛ تحقيق إسماعيل البشري.- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ.

٤- السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للشبلي، محمد؛ تحقيق إبراهيم المقحف.- صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ.

٥- سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٦؛ تحقيق أكرم جيوش. — ط١.- مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب الحنبلي، ابن العماد.- بيروت: دار الفكر، د.ت.

٧- صفة جزيرة العرب للهمداني؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع.- الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر.

٨- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص للشرجي. - صنعاء: مكتبة الإرشاد.

٩- طبقات الزيدية الكبرى للمؤيد، إبراهيم بن القاسم؛ تحقيق عبد السلام الوجيه٠- ط ١.- عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن على، ١٤٢١هـ.

١٠- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي؛ تحقيق محمود الطناجي، د.ن، د. م.

١١- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي، نجم الدين.- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

١٢- مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار (اللواحف الندية) لابن فند. محمد ابن علي؛ تحقيق عبد السلام الوجيه. — ط١. - عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد ابن علي، ١٤٢٣هـ.

١٣- المستدرك على هجر العلم ومعاقله للأكوع، لإسماعيل بن محمد.- ط١.- بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ.

١٤- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم للسنجاري، ج٣؛ تحقيق ماجدة فيصل، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.

١٥- مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال: تحقيق عبد الرقيب مطهر.- صنعاء: مركز أهل البيت، ١٤٢٥هـ.

١٦- نفح العود في سيرة الشريف حمود للبهكلي، علي بن عبد الرحمن: تحقيق محمد العقيلي.- دارة الملك عبد العزيز.

١٧- هجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع، إسماعيل بن محمد.- بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ.

ج- المراجع:

١- حكام اليمن المؤلفون المجتهدون لعبد الله الحبشي. - لبنان: دار القرآن، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢- أضواء على الأدبي والأدباء بمنطقة جازان لمحمد العقيلي.- ط١.- مكة المكرمة: نادي مكة الأدبي، ١٤٠٧هـ.

٣- أعلام المؤلفين الزيدية لعبد السلام الوجيه.- عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٤- أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب وأحوازهما في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠- ١٢٠٠هـ/ ١٠٠٩- ١٧٨٥م) لعبد الله أبو داهش.- ط ١، ١٤٢٠هـ.

٥- التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للعقيلي. - جازان: النادي الأدبي.

٦- تاريخ المخلاف السليماني، ط٢.

٧- تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري لعبد الرحمن الشجاع.- ط٢.- صنعاء: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م.

٨- شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي؛ جمع ودراسة وتحقيق محمد آل مبارك. - ط١. - جازان: نادي جازان الأدبي ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٩- مؤلفات الزيدية لأحمد الحسيني. - ط١.- مكتبة آية المرعشي النجفي، د.م.، ١٤١٣هـ.

١٠- مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري: تحقيق إسماعيل الأكوع. - ط ٣. - صنعاء: مكتبة

الإرشاد، ١٤٢٥هـ.

١١- مصادر التراث في المكتبات الخاصة باليمن لعبد السلام الوجيه.- عمان، الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

١٢- مصادر الفكر الإسلامي باليمن للحبشي. - بيروت: المكتبة العصرية.

١٣- معجم البلدان والقبائل اليمنية لإبراهيم المقحفي. - صنعاء: دار الكلمة، د.ت.

١٤- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (مقاطعة جازان) للعقيلي محمد بن أحمد ط١.- الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر، ١٣٨٩هـ.

١٥- المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله الجرافي. منشورات العصر الحديث.- ط ٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٦- من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد لعلي أبو زيد الحازمي.- ط١، ١٤١٣هـ.

١٧- نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وتهامة عسير لحجاب الحازمي.- ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

د- الأبحاث والرسائل:

١- الحملات اليمنية على المخلاف السليماني في العصر العثماني الأول لعلي صميلي (بحث غير منشور)

٢- الحياة العلمية بالمخلاف السليماني خلال القرن العاشر الهجري (٦- ٩هـ) لمحمد الحاوي

(بحث مقدم للنشر)

٣- دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة خلال القرن العاشر الهجري لأميرة المداح. بحث منشور ضمن كتاب الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤- السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية لإبراهيم بن شرف الدين؛ تحقيق زيد الفضيل، رسالة ماجستير غير منشورة.

٥- ملامح من الحياة العلمية بالمخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة، (بحث مقدم للنشر بمجلة كلية الآداب، جامعة الأسكندرية).